# ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني تصدر عن قسم الشؤون
الفكرية والثقافية وحدة الإصدارات في العتبة الكاظمية
المقدسة / العدد ٦٠/ السنة السابعة ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

قال الإمام علي عليه السلام:
اقْرَؤُوْا الْقُرْآنَ وَاسْتَظْهِرُوْهُ،
فَإِنَّ اللّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ
قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنِ

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
وحدة الإصدارات
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٦٠ / السنة السابعة / ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٦
٨ معدن التنزيل وصاحب التأويل
١٤ العتبة الكاظمية المقدسة تحتفي بحافظات كلّ القرآن الكريم
١٨ التصدي القرآني لأهواء المعاندين وحماقاتهم
٢٦ ما لكم كيف تحكمون؟
٢٨ عليّ عليه السلام قرين القرآن الكريم

المشرف العام
م. جلال علي محمد

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

السلامة الفكرية والتدقيق اللغوي
الشيخ عماد الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

# كلمة العدد

## القرآن والإصلاح الجذري

لا يخل على أحدٍ من الناس ما للقرآن من أثرٍ كبير في إحداث التغيير، فالكل يجمع على أنه يمتلك قوة ايجابية خارقة ونافذة تصل إلى أبعد نقطة في العقل والضمير الإنساني، فتؤثر فيهما التأثير الذي يسمح لهما بالحركة وفق مديات الصلاح والإصلاح الجذري، والدعوة لالتزام الوسطية والاعتدال في التغلب على مشاكل الحياة، والتخطيط لمستقبل مشرق سعيد، فالقرآن بادر منذ اللحظة الأولى له قبل أن تسبقه أية بادرة تغيير، بفاعلية كبيرة على تغيير واقع المحيط الذي نزل فيه وتزويده بالطاقة الإيجابية، من دون أنْ يكون هذا التغيير قائماً على القهر والغلبة، سالكاً نهجين مهمين الأول: بناء وإعادة البنى التحتية للإنسان الذي ألفاه متهدماً تحت وطأة الظروف القاسية والقوانين الجائرة وترميم كل ما عفى من روحه وفكره وجسمه وذوقه نتيجة جور الزمن وعتي الأيام وتحويله من إنسان خانع قابع مسبت تحت ركام جموده إلى إنسان مناهض للجهل والجمود رافض للمكوث على كل ما يعيق الحركة الإنسانية من ظلم واستبدال، وقد ظهر هذا النهج جلياً في رموز أعدها القرآن إعداداً متميزاً قلّما يأتي التاريخ بمثلها، وشاهد الطف أكبر شاهد على نبذ الظلم والاستبدال بجميع صوره وأشكاله، ولو لا ما أحدثه القرآن في هذه النخبة الرسالية واتصال شعبه في قلوبهم ونفوسهم وما أعطاهم من زخمٍ هائلٍ من الثقة بالقدرة على الارتقاء، لما استطاعوا تحديد مسار وجهتهم في هذه الحياة ولما كانت لهم هذه المساحة من حرية الإرادة والاختيار، ولأصبحوا مكبّلين تحت سطوة الخوف والتوجس من تغيير واقعهم المرير، أما ما يتعلق بالنهج الثاني الذي اعتمده القرآن في التأثير على الإنسان فبعد البناء ودوره في إثارة الشعور العميق لدى الإنسان بالجانب الإيجابي من وجوده، يأتي دور القرآن هنا في نزع ضراوة العادات البشرية وترويض الدوافع الذاتية وتهذيبها، ليستحيل الإنسان الجاهلي من مخلوق تطفح منه الأنا يعيش لنفسه ولنفسه فقط إلى إنسان تتلاشى عنده كل مفردات الأنا وتحلق روحه بعيداً عن كل النزوات الفردية، فيستمري بذلك طعم التضحية وحلاوتها من أجل الآخرين ويعتاد الاهتمام الشخصي بهم، فتغدو حياته وقفاً لحياتهم ومصيره رهناً لمصيرهم، وعندها يصبح له عنوان جديد غير عنوانه الأول مفاده أن التظاهر ضد الظلم ورفع الحيف عن الآخرين والتضحية من أجلهم، هو مظهر من مظاهر اختصاص الله وعنايته بعباده، وهو شرف لا يوليه الله إلا لخاصة عباده وأوليائه المقربين، من هنا نفهم لماذا ضحى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بكل شيء ولم يكترثوا لما لقوا من حز السيوف وألم الجراح عندما ذاقوا طعم التضحية من أجل الدين والأمة، لأنهم وجدوا أن لا قيمة لأجسادهم إنْ كانت أرواحهم ترتع في حب الله وفي مرابع القرآن.

**سكرتير التحرير**

# الإمام الجواد عليه السلام

## وآثاره في تفسير القرآن الكريم

## -٧-

الشيخ عماد الكاظمي

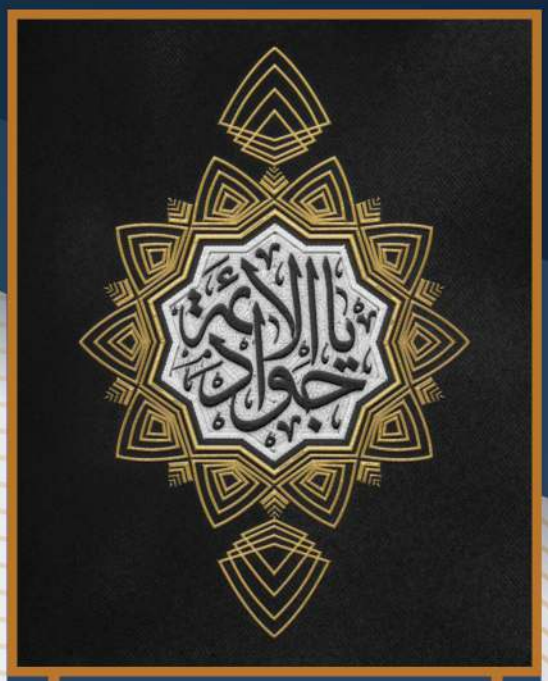


تحدثنا في الحلقة السابقة عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾[١]، وتم بيان ما يتعلق بها من حيث المراد من توحيد الله عز وجل، ومحاولة دراسة الآية الكريمة بإيجاز ضمن الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد عليه السلام، وفي هذه الحلقة نحاول بيان رواية تفسيرية لها علاقة بإحدى الجوانب لشخصية النبي صلى الله عليه وآله.

١- سورة الإخلاص: الآيتان ١-٢.

### الآية الثامنة

**قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِيْ الْأُمِّيِّيْنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ﴾[١].**

روى الشيخ الصدوق عن جعفر بن محمد عليه السلام[٢]، قال: ((سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام، قُلْتُ: يَزْعَمُوْنَ أَنَّهُ سُمِّيَ الْأُمِّيَّ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ. فَقَالَ عليه السلام: كَذَبُوْا، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ! أَنَّى ذَلِكَ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُوْلُ فِيْ مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِيْ الْأُمِّيِّيْنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فَكَيْفَ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مَا لَا يُحْسِنُ؟! وَاللهِ لَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِيْنَ -أَوْ قَالَ بِثَلَاثَةٍ وَسَبْعِيْنَ- لِسَانًا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْأُمِّيَّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَمَكَّةُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْقُرَى، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٣]))[٤].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّن مسألة من المسائل المتعلقة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كونه هل كان يقرأ ويكتب أم لا، وهذه الرواية واضحة البيان في أنه كان يجيد ذلك بأكثر من لسان، ولكن على رغم ذلك فقد اختلف العلماء في ذلك، وإنَّ دراسة هذا الأمر له علاقة بتحدي القرآن الكريم المشركين

١- سورة الجمعة: الآية ٢.

٢- ورد في سند الرواية عن الشيخ الصدوق جعفر بن محمد الصوفي، وهو غير صحيح؛ إذ لا يوجد من الرواة بهذا الاسم، بل هو الصيرفي كما تبيَّن لي ذلك من خلال متابعة الرواة عنه مثل أحمد بن محمد البرقي الوارد في سند الرواية، وكذلك يروي عنه أحمد بن محمد بن عيسى وهو من سند رواة هذه الرواية. وهو ((جعفر بن محمد بن يونس الأحول الصيرفي، ثقة، من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام)). معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي ٥/٩٤-٩٥.

٣- سورة الأنعام: الآية ٩٢.

٤- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ص٥١.

وإعجازه، فقد تحدى المعاندين للإيمان بالرسالة الإسلامية صراحة، من خلال إيتائه بمعجزات متعددة تدل على صدق دعوى نبوة النبي ﷺ، والتي كان من أعظمها القرآن الكريم، وما تضمنه من آيات بلاغية عظيمة لها أثر كبير في نفوس سامعيها، تصدر من رجل لم يدرس عند أحد من قبل، ولم يكن يقرأ ويكتب على رأي كثير من العلماء والمحققين، وفيه يكمن سرٌّ إعجازي ذاتي آخر، فالتأريخ يحدثنا أنه كان أُمِّيًّا، وكانت تربيته الأولى في البادية، ولم تكن مكة آنذاك من مراكز العلم، ومدارس العلماء، وأنَّ عدد الذين كانوا يكتبون في الجزيرة العربية قليل جدًّا، ومنهم يعرف القراءة ولا يعرف الكتابة، والنبي ﷺ قد جاء بكتاب تضمن تلك البلاغة العربية الفائقة، التي أعجزت الفحول من بلغاء وشعراء العرب، حتى قال كبير معانديهم الوليد بن المغيرة عندما آستمع للقرآن وهو يريد الإساءة إليه: ((إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُوْ، وَلَا يُعْلَى))[5]، وقال السيد هبة الدين الشهرستاني (ت١٣٨٦هـ/١٩٦٧م) تعليقًا على هذه المقولة: ((هَذَا أَوَّلُ تَقْرِيْظٍ نَالَهُ الْقُرْآنُ مِنْ خُبَرَاءِ عَصْرِهِ وَمِصْرِهِ ، وَلَعَمْرِيْ إِنَّهَا شَهَادَةٌ حَافِلَةٌ مُؤَكَّدَةٌ بِأَنَّ الْمُشَدَّدَةَ سِتُّ مَرَّاتٍ، كَشَهَادَاتِ سِتِّ قَيِّمَةٍ))[6]، وقد ورد أنَّ قريشًا أتت الوليد بعد أنْ عرفت أنه آستمع إلى القرآن وتأثَّر به: ((قَالَ أَبُوْ جَهْلٍ: فَقُلْ فِيْهِ قَوْلاً يُعْلِمُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لِمَا قَالَ، وَأَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ. قَالَ: فَمَا أَقُوْلُ فِيْهِ، فَوَاللهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّيْ، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ مِنِّيْ، وَلَا بِقَصِيْدِهِ ، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يَشْبَهُ الَّذِيْ يَقُوْلُ شَيْئًا مِنْ هَذَا))[7].

إنَّ الآية المباركة التي رواها الإمام الجواد ﷺ قد تحدث بعض المفسرين عن أنَّ المراد بـ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ هو النسبة إلى أمة العرب، أو أنَّه كان لا يقرأ ويكتب كما هو حال الأمة آنذاك بصورة موجزة جدًّا[8]، ولأهمية هذا الموضوع واختلاف المفسرين والمحققين حول الموضوع سيتم تسليط الضوء عليه من آيات أخرى، فالحديث عن أمِّيَّة النبي ﷺ إنما هو حديث عن جانب مشرق من جوانبه الإعجازية التي كانت العناية الإلهية ظاهرة فيها، وليس عن جانب غير تكاملي في شخصيته ﷺ، ونحاول بيان ما يتعلق بالأمر إيجازًا من خلال جهتين أساسيتين:

## الأولى: هل كان النبي يقرأ ويكتب قبل البعثة أم لا؟

إنَّ القراءة والكتابة المتعلقة بشخصية النبي ﷺ إنَّما تتعلق بكيفية إيصال تلك الرسالة بطريقة إعجازية، وقد ذهب كثير من العلماء كما تقدم إلى أنَّه لم يكن يقرأ ويكتب قبل البعثة حصرًا، وفي ذلك كمال الحجة الإلهية على المعاندين لدعوته، ونعرض بعض تلك الأقوال النافية لهذه الصفة مع بيان أدلتهم:

لقد استند القائلون بذلك إلى بعض الآيات المباركة التي توحي إلى ذلك صراحة أو ضمنًا، ومن أهم تلك الآيات وأشهرها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ﴾[9]. ومما قاله المفسرون في الآية المباركة:

١- قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م): ((يَعْنِيْ وَما كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ تَقْرَأُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِيْ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، وَلَمْ تَكُنْ تَكْتُبُ بِيَمِيْنِكَ، وَلَكِنَّكَ كُنْتَ أُمِّيًّا، وَلَوْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوْحَى إِلَيْكَ تَقْرَأُ الْكِتَابَ، أَوْ تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ، إِذَنْ لَشَكَّ الْمُبْطِلُوْنَ الْقَائِلُوْنَ إِنَّهُ سَجَعٌ وَكَهَانَةٌ، وَإِنَّهُ أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَ))[10].

٢- قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): ((وَأَنْتَ أُمِّيٌّ مَا عَرَفَكَ أَحَدٌ قَطْ بِتِلَاوَةِ كِتَابٍ وَلَا خَطٍّ ﴿إِذًا﴾ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَيْ مِنَ التِّلَاوَةِ وَالْخَطِّ ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالُوْا: الَّذِيْ نَجِدَهُ فِيْ كُتُبِنَا أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ وَلَيْسَ بِهِ. أَوْ لَارْتَابَ مُشْرِكُوْ مَكَّةَ وَقَالُوْا: لَعَلَّهُ تَعَلَّمَهُ أَوْ كَتَبَهُ بِيَدِهِ .... فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُبْطِلُوْنَ فِيْ كُفْرِهِمْ بِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ أُمِّيًّا لَارْتَابُوْا أَشَدَّ الرَّيْبِ، فَحِيْنَ لَيْسَ بِقَارِىءٍ كَاتِبٍ فَلَا وَجْهَ لِارْتِيَابِهِمْ .... فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿بِيَمِيْنِكَ﴾ قُلْتُ: ذَكَرَ الْيَمِيْنَ وَهِيَ الْجَارِحَةُ الَّتِيْ يُزَاوِلُ بِهَا الْخَطَّ زِيَادَةُ تَصْوِيْرٍ لِمَا نَفَى عَنْهُ مِنْ كَوْنِهِ كَاتِبًا. أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ فِيْ الْإِثْبَاتِ رَأَيْتُ الْأَمِيْرَ يَخُطُّ هَذَا الْكِتَابَ بِيَمِيْنِهِ كَانَ أَشَدَّ لِإِثْبَاتِكَ أَنَّهُ تَوَلَّى كِتْبَتَهُ، فَكَذَلِكَ النَّفْيُ))[11].

٣- قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((وَالْمَعْنَى أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تُحْسِنُ الْقِرَاءَةَ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْكَ بِالْقُرْآنِ، وَمَا كُنْتَ أَيْضًا تَكْتُبُهُ بِيَدِكَ، وَلَوْ كُنْتَ تَقْرَأُ كِتَابًا أَوْ تَكْتُبُهُ لَوَجَدَ الْمُبْطِلُوْنَ طَرِيْقًا إِلَى اكْتِسَابِ الشَّكِّ فِيْ أَمْرِكَ، وَإِلْقَاءِ الرِّيْبَةِ لِضَعْفَةِ النَّاسِ فِيْ نُبُوَّتِكَ، وَلَقَالُوْا إِنَّمَا تَقْرَأُ عَلَيْنَا مَا جَمَعْتَهُ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِيْنَ، فَلَمَّا سَاوَيْتَهُمْ فِيْ الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَأِ ثُمَّ أَتَيْتَ بِمَا عَجَزُوْا عَنْهُ، وَجَبَ أَنْ يَعْلَمُوْا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِكَ))[12].

إنَّ أقوال الأعلام التي تقدمت في نفي القراءة والكتابة عن النبي ﷺ تستند إلى علة أساسية مهمة، ولها آثار في الدعوة ونجاحها، وهو دفع الشبهات المحتملة من المعاندين للدعوة، حيث القرآن هو المعجزة الفصل التي أتاهم بها،

٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ١٩٢/٦ ، البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي ٦٩/٢.

٦- المعجزة الخالدة ص٤٣.

٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ٤٨٨/٢٦ ، وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٧٨/١٠.

٨-

٩- سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

١٠- جامع البيان ٤٨١/٢٦-٤٨٢ ، وذكر بعض الروايات التي وردت في أمية النبي ﷺ بسنده عن ابن عباس، وقتادة، وابن مجاهد.

١١- تفسير الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري ٤٦٢/٣-٤٦٣.

١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٥٠/٤.

<<<

والمعاندون على اختلافهم فإنْ كانوا ممن لا يؤمن بديانة فهو يعرف نشأة النبي وسيرته فيهم، حيث الأمية الكبيرة بين الناس في مكة، ولم يذكر التأريخ نصًّا واحدًا يمكن لهم أن يستندوا إليه في أنَّه قد تعلم عند أحد، على رغم أنهم قد ذكروا تفاصيل دقيقة في سيرته، وأما إنْ كانوا من أصحاب الديانات السابقة فأُمِّيَّته تنفي أي ادعاء أنَّه قد تعلم شيئًا من رهبان النصارى، أو أحبار اليهود ما يتعلق بالموضوعات الغيبية التي تحدث عنها القرآن الكريم، وهذا هو كمال التصديق بالرسالة، إذًا فمقام عدم القراءة والكتابة فضل وكمال، وليس عيبًا أو نقصًا.

ولكن قد ذكر القرطبي أقوالاً متعددة تتعلق بما تقدم حول القراءة والكتابة، ولكن يظهر أنَّه يرجح عدم قراءة وكتابة النبي ﷺ مطلقًا، قبل البعثة وبعدها، وفيه كمال الإعجاز الإلهي، فقال بعد بيانه للآراء والروايات التي ورد فيها أنه قد كتب: ((وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِيْنَ مَنْ قَالَ هِيَ آيَةٌ خَارِقَةٌ [عِنْدَمَا مَحَا النَّبِيُّ كَلِمَةً وَكَتَبَ غَيْرَهَا فِيْ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ]، فَيُقَالُ لَهُ: كَانَتْ تَكُوْنُ آيَةً لَا تُنْكَرُ لَوْلَا أَنَّهَا مُنَاقِضَةٌ لِآيَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ كَوْنُهُ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ، وَبِكَوْنِهِ أُمِّيًّا فِيْ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ قَامَتِ الْحُجَّةُ، وَأُفْحِمَ الْجَاحِدُوْنَ، وَانْحَسَمَتِ الشُّبْهَةُ، فَكَيْفَ يَطْلُقُ اللهُ تَعَالَى يَدَهُ فَيَكْتُبُ وَتَكُوْنُ آيَةً، وَإِنَّمَا الْآيَةُ أَلَّا يَكْتُبَ، وَالْمُعْجِزَاتُ يَسْتَحِيْلُ أَنْ يَدْفَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَإِنَّمَا مَعْنَى كَتَبَ وَأَخَذَ الْقَلَمَ أَيْ أَمَرَ مَنْ يَكْتُبُ بِهِ مِنْ كُتَّابِهِ .... قلت: هذا [أَيْ أَنْ يُرْزَقَ عِلْمَ هَذَا وَيُمْنَعَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ] وَهُوَ الصَّحِيْحُ فِيْ الْبَابِ، أَنَّهُ مَا كَتَبَ وَلَا حَرْفًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا أَمَرَ مَنْ يَكْتُبُ، وَكَذَلِكَ مَا قَرَأَ وَلَا تَهَجَّى))[١٣].

**الثانية: هل كان النبي يقرأ ويكتب بعد البعثة أم لا؟**

إنَّ كثيرًا من الأعلام الذين قالوا بأنه ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب قبل البعثة، لأجل الغاية التي تقدمت من كمال الإعجاز، قد صرَّحوا بعلمه بهما بعد البعثة؛ حيث الحاجة إليهما، فضلاً عن انتفاء الشك والارتياب لدى المعاندين في أنَّ ما جاء به ليس من تعلمه عند أحد، ونذكر من ذلك كلمات ثلاث من أعلام الطائفة:

١- قال الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م): ((إِنَّ النَّبِيَّ لَوْ كَانَ لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ وَلَا يَعْرِفُهَا لَكَانَ مُحْتَاجًا فِيْ فَهْمِ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْكُتُبُ مِنَ الْعُقُوْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يُحْوِجَهُ اللهُ فِيْ بَعْضِ مَا كَلَّفَهُ الْحُكْمُ فِيْهِ إِلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ لَجَازَ أَنْ يَحْوِجَهُ فِيْ جَمِيْعِ مَا كَلَّفَهُ الْحُكْمُ فِيْهِ إِلَى سُوَاهُ، وَذَلِكَ مُنَافٍ لِصِفَاتِهِ، وَمُضَادٌّ لِحِكْمَةِ بَاعِثِهِ، فَثَبُتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، وَشَيْءٌ آخَرُ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِيْ الْأُمِّيِّيْنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ﴾، وَمُحَالٌ أَنْ يُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَهُوَ لَا يُحْسِنُهُ، كَمَا يَسْتَحِيْلُ أَنْ يُعَلِّمَهُمُ الْحِكْمَةَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا .... وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ﴾، فَنَفَى عَنْهُ إِحْسَانَ الْكِتَابَةِ وَخَطِّهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ خَاصَّةً، فَأَوْجَبَ بِذَلِكَ إِحْسَانَهُ لَهَا بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَلَوْلَا أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمَا كَانَ لِتَخْصِيْصِهِ النَّفْيَ مَعْنًى يُعْقَلُ، وَلَوْ كَانَ حَالُهُ ﷺ فِيْ فَقْدِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابَةِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ كَحَالِهِ قَبْلَهَا لَوَجَبَ إِذَا أَرَادَ نَفْيَ ذَلِكَ عَنْهُ أَنْ يَنْفِيَهُ بِلَفْظٍ يُفِيْدُهُ لَا يَتَضَمَّنُ خِلَافَهُ))[١٤].

إنَّ تفسير الشيخ قائم على الدليل العقلي الذي له أثر في بيان علة بعث الأنبياء ومقامهم، وحاجة الغير إليهم، مما له أثر في كمالهم، حيث صفة العلمية على سواهم، فضلاً عن الدليل النقلي في النص القرآني الذي ينفي عنه التعلم قبل النبوة خاصة، وأما بعدها فلا ينطبق عليه، وفي ذلك موافقة للرواية التفسيرية للإمام الجواد ﷺ الدالة على علمه ﷺ بأكثر من لسان مما يؤكد صفات الكمال التي يجب أنْ يكون عليها، وإنَّ الشيخ قد استند إلى الآية نفسها في الرواية، والدالة على أنه تعالى كيف يرسل رسولاً يعلِّم الأمة ما ورد من تعاليم الشريعة المقدسة ولا يمكنه القراءة والكتابة، فقوله: ﴿يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فيه إشارة إلى أنه يعرف ذلك.

٢- ورد عن الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) قوله: ((هَذِهِ الْآيَةُ [وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ] تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، فَأَمَّا بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَالَّذِيْ نَعْتَقِدُهُ فِيْ ذَلِكَ التَّجْوِيْزُ؛ لِكَوْنِهِ عَالِمًا بِالْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ، وَالتَّجْوِيْزُ لِكَوْنِهِ غَيْرَ عَالِمٍ بِهِمَا مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ عَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِيْ أَنَّ النَّفْيَ قَدْ تَعَلَّقَ بِمَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ دُوْنَ مَا بَعْدَهَا، وَلَأَنَّ التَّعْلِيْلَ فِيْ الْآيَةِ يَقْتَضِيْ اخْتِصَاصَ النَّفْيِ بِمَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُبْطِلِيْنَ إِنَّمَا يَرْتَابُوْنَ فِيْ نُبُوَّتِهِ ﷺ لَوْ كَانَ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، فَأَمَّا بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَلَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالرِّيْبَةِ وَالتُّهْمَةِ، فَيَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ تَعَلَّمَهَا مِنْ جَبْرَائِيْلَ ﷺ بَعْدَ النُّبُوَّةِ))[١٥].

إنَّ القراءة الدقيقة لما يراه السيد الشريف المرتضى توحي إلى القول بأنَّ النبي ﷺ كان يُحسن ذلك بعد بعثته الشريفة بخلاف ما قبلها، ولكنه لا يجزم بذلك صراحة كما تقدم

١٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١٣/٣٥٢-٣٥٣.

١٤- أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد بن محمد بن النعمان ص١١٢.

١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/٣٥٠.

من الجزم في كلام شيخه المفيد، لوجود بعض الإشكالات التي قد ترد في الموضوع ومنها من هو معلمه لذلك؟ ولم يذكر لنا التأريخ أنَّه قد تعلم عند أحد! ولو كان قد ذكر لاشتهر تمامًا؛ لعناية المسلمين بتدوين سيرته، وخصوصًا في مثل هذه الموضوعات المهمة، لذلك رجح المرتضى احتمال تعلمه من جبرئيل عليه السلام، وهو أمر وارد حيث أنَّه عَلَّمه ما هو أعظم من القراءة والكتابة.

٣- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((لَمْ تَكُنْ تُحْسِنِ الْقِرَاءَةَ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْكَ بِالْقُرْآنِ، وَمَا كُنْتَ أَيْضًا تَخُطُّ بِيَمِيْنِكَ، وَفِيْهِ اخْتِصَارٌ وَتَقْدِيْرُهُ وَلَوْ كُنْتَ تَتْلُوْ الْكِتَابَ وَتَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ﴾ .... وَالْآيَةُ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ [عدم القراءة والكتابة]، بَلْ فِيْهَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُبُ الْكِتَابَ، وَقَدْ لَا يَكْتُبُ الْكِتَابَ مَنْ يُحْسِنُهُ، كَمَا لَا يَكْتُبُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ.... وَلَوْ أَفَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ قَبْلَ الْإِيْحَاءِ، لَكَانَ دَلِيْلُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُحْسِنُهَا بَعْدَ الْإِيْحَاءِ إِلَيْهِ؛ لِيَكُوْنَ فَرْقًا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ))[١٦].

إنّ الشيخ الطوسي قدس سره له رأي خاص في الموضوع كما تبيَّن، حيث عدم الجزم بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقرأ ويكتب قبل البعثة من خلال هذه الآية المباركة، وقد ذكر ذلك صريحًا، على الرغم من تأييده لها بعد البعثة، وفيه أكثر الأقوال موافقة للرواية التفسيرية عن الإمام الجواد عليه السلام في هذا المورد، وإنْ كان قد ذكر ما تقدم من قولَيْ المفيد والمرتضى في موضع آخر، فقال في بيان صفات القاضي: ((وَالَّذِيْ يَقْتَضِيْهِ مَذْهَبُنَا أَنَّ الْحَاكِمَ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ عَالِمًا بِالْكِتَابَةِ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عِنْدَنَا كَانَ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَإِنَّمَا لَمْ يُحْسِنْهَا قَبْلَ الْبِعْثَةِ))[١٧].

ولأهمية الموضوع أختم بما ورد عن الأعلام المحققين المتأخرين في هذه الأمر، حيث قال السيد هبة الدين الشهرستاني في بيان وجوه إعجاز القرآن: ((لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا حَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَوْضَحُ مِنْ تَأْرِيْخِهِ، وَلَا نَاحِيَةٌ مِنْ تَأْرِيْخِهِ أَوْضَحُ مِنْ أُمِّيَّتِهِ، بِمَعْنَى نَفْيِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ عَنْهُ))[١٨]، وقال السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): ((وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ الْبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ أَيْ عُلِّمَ الْقِرَاءَةُ أَوِ الْكِتَابَةُ وَالْقِرَاءَةُ بِوَاسِطَةِ الْقَلَمِ، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ أَوِ اسْتِئْنَافِيَّةٌ، وَالْكَلَامُ مَسُوْقٌ لِتَقْوِيَةِ نَفْسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَإِزَالَةِ الْقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ عَنْهَا، حَيْثُ أُمِرَ بِالْقِرَاءَةِ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ))[١٩]، وقال السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م): ((صَرَّحَ الْكِتَابُ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ آيَاتِهِ الْكَرِيْمَةِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله أُمِّيٌّ، وَقَدْ جَهَرَ النَّبِيُّ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ بَيْنَ مَلَأِ قَوْمِهِ وَعَشِيْرَتِهِ الَّذِيْنَ نَشَأَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَتَرَبَّى فِي أوساطهم فلم ينكر عليه أحد هذه الدعوى ...))[٢٠]، وللشيخ محمد حسن آل ياسين (ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) تفصيل في المسألة والأقوال التي وردت في ذلك، مع بيان أقوال اللغويين في تحقيق لفظ (الأمي)[٢١].

من خلال ما تقدم تكون الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله بعد النبوة، وإنَّ كُلَّ ما ورد من أقوال المفسرين يؤكد ذلك، وفي هذا ظهور الاتفاق التام في منهج الثقلين -القرآن والعترة- وإلى لقاء قادم مع رواية تفسيرية أخرى.

١٦- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن ٨/٢١٦.

١٧- المبسوط في فقه الإمامية، محمد بن الحسن ٨/١٢٠.

١٨- المعجزة الخالدة: ٣٧.

١٩- الميزان في تفسير القرآن ٢٠/٣٧١.

٢٠- البيان في تفسير القرآن ص٥٥.

٢١- ينظر: في رحاب الرسول صلى الله عليه وآله ص١١٥-١٢٢.

# معدن التنزيل وصاحب التأويل

كان وما زال وسيبقى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام رمزاً سامياً ينبض بالمُثل والدروس والقِيم، سواءً بسيرته الوضَّاءة، أو بوصاياه النيرة التي جرت على لسانه كأنها لآلئ منظومة ودرر مكنونة، والتي هي بحق تجليات إعجازية رائعة، وذخائر بلاغية غنية، ولفتات جمالية أخّاذة، وباختصار شديد لنا أن نقول: إنَّ الكلمات الحسينية الشريفة هي موسوعة معارف متطورة،

ومن هنا كان من الأجدى والأجدر الانتهال من هذا المعين المعطاء، والاقتباس من منهل تراثه الكلامي الثرّ، الذي يُلهم الحياة ويهذب النفوس، ويشحذ الهمم وينمّي الوعي، لعلّنا نجعله نهجاً نسير على هديه، حتى نصيب الخير العميم في الدنيا والآخرة.

ومن بين الأمور التي شغلت حيزاً كبيراً من المأثور الروائي المنسوب لسيد الشهداء ﷺ، هو ترسيخ الثقافة القرآنية، إذ أكد ﷺ تأكيداً شديداً على الاعتناء بتكريم القرآن أيَّما تكريم، وتقديسه كل التقديس، فَركّز ﷺ على أهميته في حياة المسلمين، وأوضح شأنه الكبير وأثره العظيم، حيث دعا ﷺ من الإكثار بتلاوة سُوَره الميمونة وآياته المباركة، فقال ﷺ مبيناً لعظيم الأجر والثواب في ذلك الفعل الممدوح: (مَن قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يُكتب له بكل حرف مئة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي وكانت له دعوة مجابة وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض، قلت: هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأ؟ قال: يا أخا بني أسد إن الله جواد ماجد كريم، إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك)[1].

وقد حثَّ الإمام الشهيد ﷺ على تربية الأولاد تربية قرآنية خالصة منذ بواكير أعمارهم، كما شجَّع المربِّين على تعليمه لأطفالهم، وغَرس حب القرآن الكريم في نفوسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وهذا درسٌ آخر نتلقاه من المدرسة الحسينية، وجب علينا تفرُّسه والتمعُّن به، وإدامة النظر إليه حتى يتعمَّق ويتأصَّل مدلوله في نفوسنا، حيث روي أنَّ عبد الرحمن السلمي علَّم ولد الحسين ﷺ سورة الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطاه ﷺ ألف دينار وألف حُلّة وحشا فاه دُرّاً، فقيل له في ذلك، فقال ﷺ: وأين يقع هذا من عطائه؟ يعني بذلك تعليمه القرآن[2].

وينقل لنا التاريخ روايات جمَّة عن الإمام الحسين ﷺ وهو يكشف أسفار كتاب الله، ويستخلص غرر آياته ويستنطق جوهر دلالاته، وكيف لا يكون هذا وهو حامله ومفسره وعِدله؟ فعندما يُسأل عن تفسير قول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يقول ﷺ: (هذه فينا أهل البيت)[3]، وما هذا الجواب الدامغ إلا تصريح صريح بالمنزلة العظيمة والمرتبة الجليلة لأهل بيت النبوة، والتي لا يغفل عن ذكرها القرآن، وهذا الجواب على إيجازه يعطي مفهوماً رحباً، ودلالة واضحة عن المكانة السامقة التي يتبوأها أهل البيت الميامين ﷺ، إذ لا يسبقهم بها سابق، ولا يشاركهم فيها لاحق.

وعندما سأله النصرُ بن مالك: يا أبا عبد الله حَدِّثني عن قول الله عز وجل ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة)[4].

فالذي يمكن أخذه مما سلف: إنَّ الإمام الحسين ﷺ اهتم اهتماماً شديداً واعتنى عناية فائقة بتبجيل القرآن المجيد، ودعا الأمة إلى الغوص في أعماق بحره العميق؛ بُغية التقاط غرر جواهره، واكتشاف كنوزه الثمينة، كما ركّز ﷺ على الآصرة القوية والعلاقة الوثيقة ما بين كتاب الله العزيز وحَمَلته، وهم الأئمة المعصومون ﷺ الذين اجتباهم الله تعالى لحمله، فأضحوا له ترجماناً، وهم معه صنوان لا يفترقان في درب الإيمان، وتلكم التلازمية بين أهل الأئمة الميامين والقرآن العظيم عبَّر عنها أمير المؤمنين ﷺ بقوله: (إنَّ اللَّه تعالى طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا)[5]، فهذا الحديث يعطي إيجازاً لمفهوم رحب، ودلالة واضحة عن مكانة سامقة تبوأها الأئمة ﷺ لم يسبقهم لها سابق، ولا يشاركهم فيها لاحق، فأهل البيت ﷺ عاشوا مع النص القرآني منذ نزوله، وحملوا مكنوناته العظيمة التي ضعفت الجبال الرواسي عن حملها: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]، وأيضاً هذا الأمر بيَّنه الإمام الكاظم ﷺ عندما قال: (علينا نزل قبل الناس، ولنا فُسِّرَ قبل أن يُفَسَّرَ في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضريه، وفي أي ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه..)[7]، فلم تبق صغيرة ولا كبيرة في هذا المضمار إلا أحاطوا ﷺ بها علماً.

١- الكافي، الكليني، ج٢، ص٦١١.

٢- بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤، ص١٩١.

٣- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٣٨٢.

٤- الخصال، الشيخ الصدوق، ص٤٣.

٥- الوافي، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٥٠١.

٦- سورة الحشر: الآية ٢١.

٧- بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٣، ص١٩٦.

# قوة الشخصية وكيفية بناؤها
# بين العلم والقرآن
# -١-

من كتاب روائع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، بقلم عبد الدائم كحيل

يتساءل البعض كيف يمكنني أنْ أكون ذا شخصية قوية ثابتة محترمة وفعالة في المجتمع؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد أنْ نستعرض ما توصل إليه علماء النفس المختصون بهذا المجال، وما تحدثت به آيات القرآن الكريم عن كيفية بناء تلك الشخصية، من خلال اتباع عدة خطوات مهمة:

## أولا: عدم الخوف والحزن

يؤكد علماء البرمجة اللغوية العصبية أنَّ أهم شيء في قوة الشخصية هو عدم الخوف، أو ما يعبَّر عنه بالثقة بالنفس، ويعتبر العلماء أنَّ أفضل طريقة للقضاء على الخوف أنْ تواجه ما تخاف منه، فلا يمكن لإنسان أنْ يكون قوياً ما لم يعالج ظاهرة الخوف عنده. والمشكلة أنَّ المواجهة تتطلب شيئاً من القوة، إذن العملية عكسية.

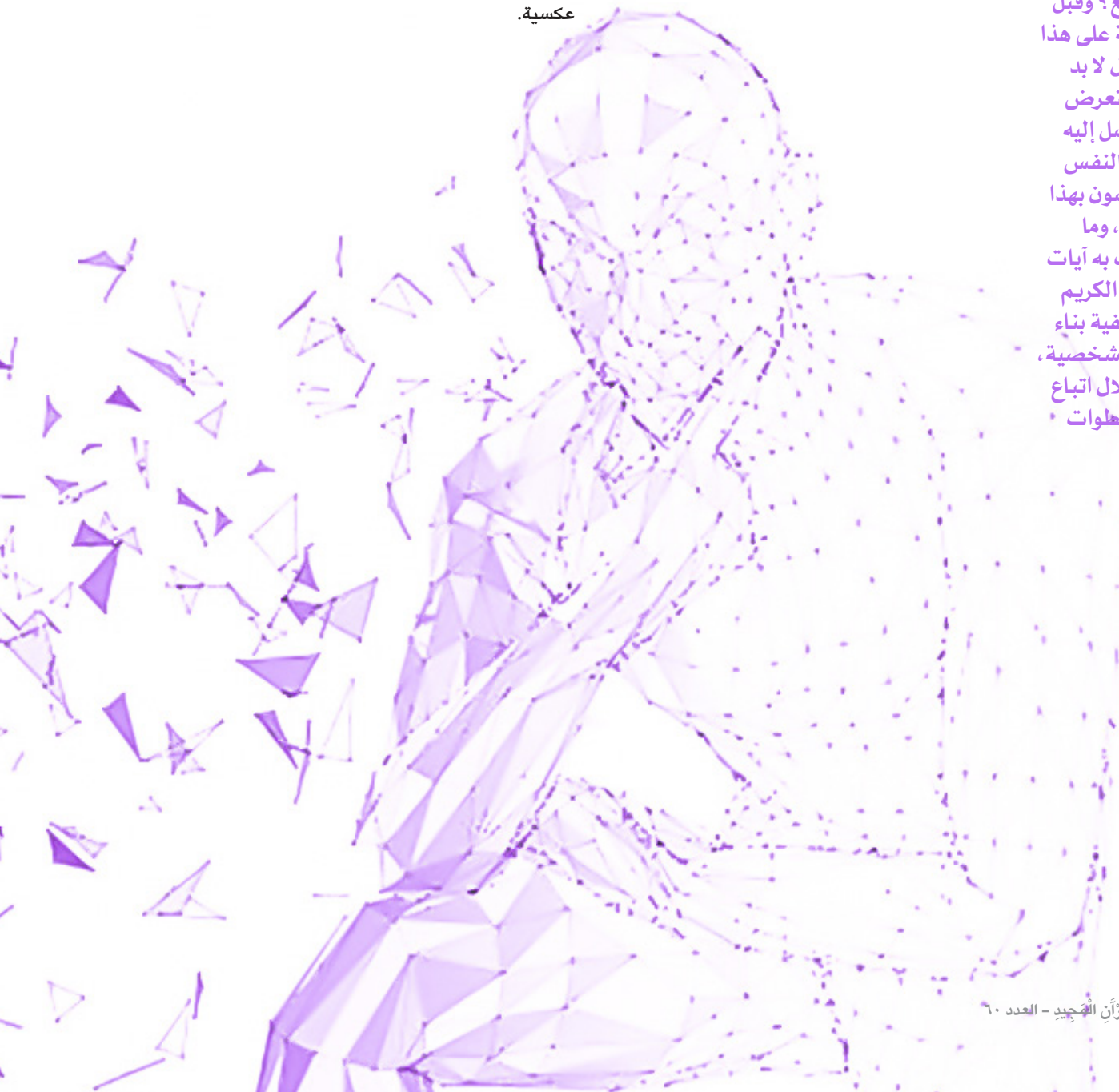

كذلك يؤكدون على ضرورة أنْ يظهر الإنسان بمظهر الواثق من نفسه، فلا يُبدي أية أحزان أو هموم أو ضعف؛ لأنَّ الإنسان الحزين يعطي انطباعاً بالضعف لدى الآخرين، إذن فهم يحثون على ضرورة عدم الخوف وعدم الحزن لتكون الشخصية القوية.

أما في كتاب الله تعالى فكثيرة هي الآيات التي تتحدث عن الخوف، ونجد تأكيداً على أنَّ المؤمن لا يخاف أبداً إلا من خالقه عز وجل، وذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

والسؤال: لماذا تحدث الله عن الخوف بصيغة الاسم (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)، بينما تحدث عن الحزن بصيغة الفعل (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)؟ لنتأمل الفرق:

- الخوف هو رد فعل لا شعوري، وبالتالي ليس في تحكم الإنسان، فجميع الكائنات الحية تخاف، بينما الحزن هو تصرف شعوري وإرادي، ويمكن لإنسان أنْ يحزن وآخر لا يحزن عند نفس الظروف.
- إنَّ الآثار والنتائج التي يسببها الخوف أكبر من تلك التي يسببها الحزن، ولذلك قدَّم الله تعالى ذكر الخوف على ذكر الحزن في الآية الكريمة.
- الخوف يأتي من مصدر خارجي، لذلك جاءت كلمة (عليهم) لتعبر عن المحيط الخارجي الذي يحيط بالإنسان، بينما الحزن يأتي من مصدر داخل الإنسان ولذلك سبق هذا الفعل بكلمة (هم).
- لا خوف..عليهم : الخوف أولاً ثم (عليهم)، للدلالة على سرعة الشعور بالخوف، وهو أجزاء من الثانية، أي إنَّ الخوف هو عمل فجائي مباغت، وهذا ما يقوله العلم.
- ولا هم..يحزنون : (هم) ثم الحزن، للدلالة على أنَّ الإنسان هو الذي يقوم بالحزن، وهذا يستغرق زمناً قد يمتد لساعات، أي أن الحزن لا يكون فجائياً.
- الخوف يكون من المستقبل بينما الحزن يكون على شيء مضى أو يعيشه في نفس اللحظة، والمستقبل مجهول بينما الماضي معلوم، والإنسان يهتم بمعرفة المستقبل أكثر من الماضي؛ لذلك جاء ذكر الخوف أولاً ليطمئن المؤمن على مستقبله، ثم جاء ذكر الحزن ليطمئن المؤمن على ماضيه وحاضره وبالتالي شمل جميع الأزمنة.

ولذلك أينما ذكر الخوف والحزن في القرآن نجد الخوف يتقدم على الحزن لهذه الأسباب، حتى إنَّ (الخوف) في القرآن قد تكرر أكثر من (الحزن)، فسبحان الذي أحصى كل شيء عدداً.

إن المؤمن الذي يعود نفسه على الخوف من الله تعالى، فلا يخاف أي شيء آخر، وإذا أردت أنْ تقضي على أي خوف مهما كان كبيراً، فما عليك إلا أنْ تستحضر عظمة الله سبحانه وتتذكر قوته وعظمته، وتقارن ذلك بقوة الشخص الذي تخاف منه وحدوده، لتجد أنَّ كل الدنيا لا تساوي شيئاً أمام قوة الله تعالى، وهذه العقيدة ستجعل الإنسان أكثر قدرة على المواجهة، وبالتالي تجعله أكثر قدرة على درء المخاوف.

يقول علماء البرمجة اللغوية العصبية إنَّ هنالك طريقة مهمة لكسب شخصية قوية من خلال التأمل والتفكير والاسترخاء، فيمكنك أنْ تجلس وتسترخي وتتذكر عواقب الخوف الذي تعاني منه، وبالمقابل تتذكر فوائد قوة الشخصية وعدم الخوف، وهذا سيجعل عقلك الباطن أكثر ميولاً لعدم الخوف، وبالتالي سوف تشعر بالقوة من دون أنْ تبذل أي جهد فيما بعد.

وهذا ما فعلته الآية الكريمة، فقد تحدثت عن ضرورة عدم الخوف، وأعطتنا الطريق لذلك من خلال التقوى (يَتَّقُونَ)، وصَوَّرت لنا بعد ذلك نتائج ذلك (لَهُمُ الْبُشْرَى). أي هنالك حلول عملية يقدمها القرآن للقضاء على الخوف، فأنت عندما تكون تقياً فذلك يعني أنَّ علاقتك بالله تعالى ممتازة، ولذلك فسوف تحصل على القوة وتستمدها من القوي سبحانه.

## ثانيا: ملاحظة الفرق بين الحب والسيطرة

يتوهم كثير من الناس ويعتقدون أنَّ السيطرة على الآخرين إنما تكون بالعنف والقوة، وهذا النوع لا يحقق سوى السيطرة الظاهرية، ففي وجودك تجد الآخرين يحترمونك أو يخافون منك، ولكن بمجرد أنْ تغيب يحتقرونك، وهذه سيطرة سلبية لأنها لا تحقق أي نتيجة، بل نتائجها ضارة.

وهنالك سيطرة أكبر بكثير هي السيطرة على القلوب، ولا يمكن أنْ تحصل على هذا النوع إلا بالمحبة، وأنْ تجعل الآخرين يطيعونك بمحض إرادتهم وبكل طواعية وانقياد، وهذا ما تمتع به النبي الكريم ﷺ، فقد ملك القلوب والعقول معاً.

يقول علماء البرمجة اللغوية العصبية إنَّ من أهم صفات القائد الناجح أنْ تهتم بمن حولك، وأنْ تتعلم كيف تصغي لهمومهم ومشاكلهم، وهذه تكسبك قوة واحتراماً في قلوب هؤلاء، كذلك يجب عليك أنْ تتعلم كيف تتغلب على الانفعالات، فالتسرع والتهور لا يعطيان نتيجة إيجابية.

ويقول العلماء إنَّ أفضل طريقة للقضاء على التسرع أو الانفعال أنْ تكون متسامحاً، وقد سبقهم الباري بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3]، أي إنَّ الصبر والعفو والتسامح، هو من الأشياء التي تعطي قوة في العزيمة وهذا ما ينعكس على قوة الشخصية.

(للحديث تتمة)

١- سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤.

٢- سورة الشورى، الآية: ٤٠.

٣- سورة الشورى، الآية: ٤٣.

# جلسات قرآنية مهداة إلى الإمام الحسين عليه السلام

أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة عدداً من النشاطات الدينية والثقافية المتعددة لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وكان من بين تلك النشاطات إقامة الختمة القرآنية النسوية المهداة إلى الإمام الحسين وشهداء الطف عليهم السلام بإشراف مباشر من دار القران الكريم / قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الكاظمية المقدسة وبمشاركة حافظة القرآن

## تخريج دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية

برعاية الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة أقيم في رحاب الصحن الكاظمي الشريف حفل تخريج كوكبة جديدة من طلبة دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام الثامنة لأحكام التلاوة وقواعد التجويد، بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة وأعضاء مجلس الإدارة، وعدد من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني وطلبة الدورة القرآنية.

واستهل الحفل بتلاوة مباركة من كتاب الله العزيز من قبل أحد طلبة الدورة الطالب عماد عبد الكريم، بعدها أهدى الحضور ثواب سورة الفاتحة المباركة إلى أرواح شهداء العراق، بعدها ألقيت كلمة العتبة الكاظمية المقدسة ألقاها أمينها العام، ومما جاء فيها: (معروف أنَّ حديث الثقلين المشهور ما هو إلا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمته، حيث وَرَدَ عنه ذلك الحديث بعد أنْ قال (أوشك أنْ أُدعى فأجيب) ولا يخفى عليكم عندما يوصي أحد في آخر حياته فأنه لا يوصي إلا بأعظم الأمور وأغلاها على قلبه لذلك قال صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا بعدي أبداً). وتلك إشارة إلى أنَّ أعظم الأمور على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وأثمنها في حياته هما القرآن والعترة.

ولأنكم تعلمتم تلاوة القرآن وهو الثقل الأول، ودرستم أحكام تجويده في بيوت أذن الله أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه في رحاب أهل البيت عليهم السلام ومن جوار الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام وهو الثقل الثاني فهنيئاً لكم ولعوائلكم ولأساتذتكم ولنا بكم عندما يشملكم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ

الكريم الست بتول جبار (وفقها الله)، وشارك في هذا النشاط القرآني الذي استمرت على مدى ثلاثين يوماً بمشاركة وحضور عددٍ الزائرات اللواتي توافدن لزيارة الإمامين الجوادين عليهما السلام.

وتخلّلت الجلسات القرآنية فقرات مختلفة، منها قراءة الأدعية وزيارة الإمام الحسين عليه السلام والتعريف بفضائل السور القرآنية، واختتمت بتوزيع الشهادات التقديرية على المشاركات.

الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ).

بعدها ألقى أستاذ الدورة القارئ الدكتور رافع محمد جواد العامري كلمة بهذه المناسبة، ومما جاء فيها: (نعيش أجواء تخريج هذه الدورة المباركة التي أقيمت في رحاب الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، ونحن نتلوا دائماً في زيارتنا وسلامنا: (أشهد أنك تلوت الكتاب حقّ تلاوته) فهذه الشهادة مخصوصة بالإمام الكاظم عليه السلام، ومن هنا انطلقنا بالدرس والتجويد والتلاوة وتعليم ذلك العلم الذي بدأ تاريخه بعد نزول القرآن الكريم، لنضطلع بتعليم شبابنا وكلُّ من يرغب بذلك وللأعمار كافة التلاوة الصحيحة وإعدادهم وتنشئتهم لأجل أنْ يكون لهم حضور فاعل في المساجد والمآذن والمحافل والمناسبات).

تلتها كلمة طلبة الدورة، وألقاها نيابةً عنهم الطالب حسن خضير عباس جاء فيها: (لا يخفى على أحد من المسلمين وغيرهم عظمة القرآن الكريم لهداية البشرية نحو الصراط المستقيم، وتحقيق الخير والعدل والمساواة والسعادة في الدنيا والآخرة، فهو الدليل إلى خير سبيل، حيث إنَّ إصرارنا نحن الطلبة الذين وفقنا الله تعالى إلى هذا السبيل من خلال المشاركة في الدورة القرآنية الثامنة التي أقامها دار القرآن الكريم والتي كانت خير زاد للتلاوة الصحيحة لكتاب الله الكريم، ومعرفة أحكامه، وتطبيق ما تعلمناه من دروس مباركة في ذلك ولله الحمد أولاً وأخراً).

ولا يسعنا إلا أنْ نتقدَّم بالشكر الجزيل إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة لاحتضانها هذه الدورة والدورات الأخرى وسعيها في نشر الثقافة القرآنية)، كما شهد الحفل فقرات عدّة منها مشاركة طلبة الدورة بتلاوة قرآنية جماعية، ومشهد تمثيلي، واختتم الحفل بتوزيع الهدايا والشهادات التقديرية على مُشرف الدورة والطلبة المشاركين فيها، كما قدَّم طلبة الدورة هدية تقديرية إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وذلك تقديراً لدورها الفاعل في نجاح الدورة ورعايتها للأنشطة القرآنية.

# العتبة الكاظمية المقدسة
# تحتفي بحافظات كلّ القرآن الكريم

إيماناً منها بدعم المسيرة القرآنية المباركة ورعايتها، والإسهام في إعداد نشءٍ مؤمن من البنين والبنات حافظاً لكتاب الله "عزّ وجل" احتفت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ دار القرآن الكريم بتكريم حافظات كلّ القرآن الكريم تزامناً مع المناسبتين المباركتين لولادة النبي الأكرم محمد ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة، وعدد من أعضاء مجلس الإدارة ومسؤولي المؤسسات القرآنية وعدد من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني.

استهل الحفل بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم بصوت الحافظة (زينب عبد الكريم)، تلتها قراءة زيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام بصوت الطالبة (جمانة عبد الكريم)، بعدها قراءة سورة الفاتحة المباركة ترحماً على أرواح الشهداء الأبرار، تلتها كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وألقاها أمينها العام قائلاً: (علينا أن نرافق كتاب الله في كلّ مراحل حياتنا وبمختلف تفاصيلها، كما ينبغي علينا تلاوة القرآن الكريم بدقةٍ كاملة، ونتدبر آياته وأحكامه وقد نشعرُ والحال هذه كأننا نقرأ آياته لأول مرةٍ أو القرآن قد نزل توّاً.

لا يخفى عليكم أن القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله تعالى لعباده، فمّرةً يصفهُ بأنه: (هدىً للمتقين) وأخرى (هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان) ومرّة (هدىً ورحمةً لقوم يؤمنون) وغيرها من الآيات .. مما يُلقي على عاتقنا وجوب التمسك بكتاب الله فضلاً عن التمسك بالعترة الطاهرة فهما الثقلان إن تمسكنا بهما لن نضلّ أبداً كما أخبرنا بذلك رسول الله محمد ﷺ. وأن حفظ القرآن الكريم لا ينبغي أن يكون على الألسن فقط

بل علينا أن نحفظه في ضمائرنا وسلوكنا .. ونحمل معانيه لا ألفاظه فقط، ونترجم وصاياه لنتحوّل بها من النظرية إلى التطبيق لندخلَ في حديث رسول الله ﷺ حيث قال: (أَشْرَافُ أُمَّتي حَمَلَةُ القُرآنِ).

أبارك للأخوات الحافظات على قطف ثمار جهودهن وأحث الأخريات على الاجتهاد في حفظهن لكتاب الله تعالى والشكر موصول لمعلمة الدورة والأخوة العاملين في دار القرآن الكريم).

أعقبها كلمة دار القرآن الكريم وألقاها عضو مجلس الإدارة فضيلة الشيخ منير حسين العامري بيّن خلالها: من هنا علينا أن نحدّد طبيعة علاقتنا مع القرآن الكريم، فعندما نرجع إلى واقعنا الذي نعيشه هل نجد أننا نتعامل مع القرآن الكريم كما ينبغي، أو أن تعاملنا معه يستند إلى حالة شبيهة بحالة الطقوس والمراسم العرفية، لا إلى كونها علاقة حقيقية مستندة إلى ما يجب أن يكون عليه الإنسان في تعامله مع القرآن الكريم.

وأضاف: إن عملية بناء العلاقة مع القرآن الكريم لها أهمية كبيرة جداً في حياة الإنسان في حاضره الدنيوي ومستقبله الأخروي وليكون السؤال كيف يمكن أن نبني علاقة المأموم بالإمام؟ وعلاقة الشغف والحب للقرآن؟ وعلاقة الإنسان المحتاج إلى من يحلّ مشاكله ويدفع عنه البلاء ويقيه الفتن؟ ويمكننا تحديد العلاقة في محاورعدة منها: الالتزام بقراءته، التدبر في آياته وأحكامه، الاستماع إليه، وحفظه.

وكان لمُعلمة الدورة الحافظة بتول جبار كلمة بهذه المناسبة جاء فيها: الشكر لله على نعمته العظيمة إذ جعل مراقد أهل بيت النبوة عليهم السلام منارةً وسنداً لنا في مسيرتنا القرآنية، وبفضل هذه البقعة المباركة التي شرّفها الله بالإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام أن يكون في حضرتهما الشريفة درس حفظ كتاب الله "عزّ وجل".

ونزفُّ البشرى في هذه الأيام المباركة بإكمال (٣ حافظات) من حفظ كتاب الله كاملاً وهن كلّ من: (نور جاسم، ونورهان كمال، ورقية جعفر)، فهنيئاً لهن هذا الشرف، وهذه المرتبة الرفيعة التي حصلن عليها بمثابرتهن، فبعزمهن وعزم الإخوة في دار القرآن الكريم وإصرارهن كان هذا الحصاد المبارك، ولا يخفى أن هناك أخريات قد حفظن عشرين جزءًا، وعشرة أجزاء وغيرهن.

بعدها شهد الحفل مجموعة من الفعاليات والمشاركات قدّمتها الطالبات الحافظات منها تلاوة مباركة لسورة "الفجر" وفقرة الاسئلة القرآنية، كما تخلل الحفل مشاركة للحافظ محمد فاضل نعمة ليختتم الحفل بتوزيع الهدايا التشجيعية والشهادات التقديرية على معلمة الدورة والحافظات المشاركات.

في الوقت ذاته قدّمن طالبات الدورة هدية تذكارية إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بهذه المناسبة وذلك تقديراً لرعاية الطالبات المشاركات في الدورة القرآنية.

## العتبة الكاظمية المقدسة

# تقيم مهرجان ربيع الولادة القرآني الأول

حسين علي السعدي

تيمناً بذكرى إشراقة النورَين العظيمَين، النبي الأكرم محمد ﷺ، وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة مهرجان ربيع الولادة القرآني الأول، تحت شعار: (على صراط أحمد)، بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة الأستاذ الدكتور حيدر حسن الشمَّري، وأعضاء مجلس الإدارة، وعددٍ من مسؤولي المؤسسات القرآنية، ونخبة من أساتذة القرآن الكريم وقرائه، وجمعٍ من زائري الإمامين الجوادين عليهما السلام.

وشهدت فعاليات المهرجان تلاوات قرآنية عطّرت أجواء الطهر والقداسة في رحاب الإمامين الكاظمين عليهما السلام أهدي ثوابها إلى شهداء العراق، وكانت بمشاركة كلٍّ من: قارئ العتبة العلوية المقدسة السيد هاني الموسوي، وقارئ العتبة الحسينية المقدسة الحاج أسامة الكربلائي، والقارئ علي حسن عبد علي من مركز علوم القرآن الكريم، حيث أكدوا من خلال مشاركتهم على الأهمية البالغة للقرآن الكريم وضرورة الاهتمام به والحفاظ على قدسيته العظيمة.

واختتمت الأمسية الأولى من المهرجان بتوزيع الشهادات التقديرية والراية المباركة لقبتي الإمامين الكاظمين عليهما السلام على القراء المشاركين، وقراءة سورة الفاتحة ترحماً على أرواح شهدائنا الأبرار.

كما شهدت فعاليات المهرجان التي استمرت على مدى يومين حفل الاختتام الذي استهل بكلمة للأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ألقاها أمينها العام جاء فيها قائلاً: (ما أطيب أنْ نجتمعَ في هذه الرحاب الطاهرة، وهذه الأجواء العامرة بالإيمان يُزيِّنها حبُّ ومودةُ محمد وآل محمد عليهم السلام ونحن نجدِّد العهد من جوار باب الحوائج موسى بن جعفر الكاظم وباب المراد محمد بن علي الجواد عليهما السلام، وما أجمل أنْ تكلَّل هذا اللقاء مأدبة الله تعالى وأعني بها القرآن الكريم، ونحن نعيش ذكرى ولادة معلم الإنسانية والأمة وهاديها الرسول الأعظم ﷺ، لا بد أنْ نستذكره من أجل السير على نهجه، لا للاحتفال ونشر معالم الفرح هنا وهناك، وقد رفعنا شعار: (على صراطِ أحمد)، و(عليٌّ صراطُ أحمد) لتكون دعوة للناس كافة لاتخاذ صراطهِ دستوراً للحياة.

ومما يؤسف له ونحن نعيش ذكرى ولادة النبي الأعظم وحفيده الإمام الصادق عليه السلام أنَّ هناك حالة مرفوضة كالأداء الخدمي المتردي، والبؤس المنتشر هنا وهناك، فضلاً عن الوضع الصحي والاقتصادي المتهالك لأهلنا وأبنائنا، فألجأهم ذلك إلى التظاهر السلمي، طلباً للإصلاح ومحاسبة المفسدين، ورعاية كُلّ أبناء الشعب العراقي وإعطائهم حقوقهم المشروعة والواجبة شرعاً وقانوناً، لنيل حياة حرّة كريمة لهم ولعوائلهم، وبعد أنْ طالت مطالبة المرجعية الدينية العُليا متمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله الوارف" بإصلاح الأداء الحكومي ومحاربة الفساد والمفسدين، ونحن نؤكد أمام الله سبحانه وتعالى إننا نسير وصوتنا تبعاً لصوت المرجعية الدينية العُليا في النجف الأشرف، عندما أكدت: أنَّ الدماء الزكية التي سالت خلال الأسابيع الماضية غالية علينا جميعاً، ومن الضروري العمل على منع إراقة المزيد منها، وعدم السماح أبداً بانزلاق البلد إلى مهاوي الاقتتال الداخلي والفوضى والخراب، وهو ممكن إذا تعاون الجميع على حل الأزمة الراهنة بنوايا صادقة، ونفوس عامرة بحب العراق، والحرص على مستقبله..).

وختم الدكتور الشمّري كلمته بالتأكيد على الإخوة والوحدة الإيمانية التي يدعو إليه كتاب الله العزيز بقوله: (ونحن في هذه المرحلة الراهنة لنعمل جميعاً على مدِّ جسور المحبة والوئام، والألفة والمودة، وجسور الإخُوّة والرحمة، ونبذ كُلّ معاني التخندق الطائفي والعِرقي والقومي والفئوي، ولنضع كُلّ الخلافات خلف ظهورنا لنبني وطننا محصناً يصعب على الأعداء اختراقه ..).

بعدها شارك كُلّ من: قارئ العتبة العباسية السيد حيدر جلو خان، والقارئ علي الخفاجي من بغداد، والقارئ أحمد البدري، بتلاوات مباركة إذ أتحفوا الحفل بأصواتهم الشجية، واختتم المهرجان بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على المشاركين.

القارئ الحاج أسامة الكربلائي

القارئ السيد هاني الموسوي

القارئ علي حسن

القارئ السيد حيدر جلو خان

القارئ علي الخفاجي

القارئ أحمد البدري

# التصدي القرآني لأهواءِ المعاندين وحماقاتهم

عامر عزيز الأنباري

إنَّ استعراض براعة النص القرآني في التصدي لأعداء الله، فيه استخلاص للدروس والعِبر، وتعرُّفٌ على كيفية اختلاق المناوئين للإسلام الحجج الواهية والحماقات التي لا تنمُّ إلا عن اتباع الهوى، فيصفها قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[1]، فهي مما لا يصمد في وجه الحقائق، وأنَّ تفنيدها ودحضها في الاحتكام إلى العقل كونه خير شاهد على بطلانها.

وأمرٌ آخر يحققه التعرف على الكيفية التي يرد بها القرآن الكريم على مزاعم المناوئين هو أنَّه يضاعف من يقين الفرد المسلم، ويمنحه الاستقرار النفسي وشعوره بعناية الله ولطفه، الذي لا يفارق الذين آمنوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]، وفيه إعداد للمؤمن إعداداً رساليًا، وفي ما يأتي بعض هذه الأهواء والحماقات وكيفية الرد القرآني عليها:

١- سورة الفرقان: الآية ٤٣.

٢- سورة الحج ، الآية ٣٨.

## أولاً: الاستخفاف والسخرية من الرسالة والمُرسَل

إنَّ أول ما نتعرف عليه في هذا الجانب هو إسراف الكُفَّار والمشركين على ما هم عليه من الضلال، فلقد كانوا – كما هو معروف- يمارسون أساليب عدة للوقوف في وجه الرسالة، كما كانت لهم مطالب تتسم بالاستخفاف والسخرية، ونكرانهم لوجود الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ * وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ * إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3]، وغرابة مطالبهم التي تعبِّر عن عتوِّهم وإصرارهم على الكفر هو مما يثير العجب بالنسبة للنبي ﷺ، فيأتيهم الجواب من عند الله تعالى بأوجز وأبلغ العبارات: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[4].

٣- سورة الجاثية، الآية ٢٤.

٤- سورة الإسراء، الآية ٩٣.

## ثانيا: اختلاق المعاذير والأوهام لتبرير عنادهم

ولأنَّ المعركة بالنسبة لهم مع الإسلام معركة نفوذ واستكبار وسلطة، فقد كانوا يوهمون أنفسهم بأنهم على جادة الصواب وما عبادتهم للأصنام وتعدد آلهتهم إلا لتقربهم إلى الله زلفى، عندها يتجلى التصدي القرآني إلى هذا المنطق الضال فاضحاً أكاذيب أصحابه بقوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ *

إنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[5]، وتتوالى الحجج والبراهين القرآنية التي تنسف ما هم عليه من الوهم والضلال كقوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[6]، ويدعوهم إلى تحكيم عقولهم: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[7]، فوجود أكثر من إله يعني ذهاب كل إله بما يهوى وفيه تهديد لمصير هذا الوجود بأسره، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[8]، ويدعوهم إلى التراجع عما ألزموا به أنفسهم، هم وآباؤهم من أوهام وإشراك قبل فوات الأوان بالنسبة لهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[9]، فحججهم واهية كما قلنا وهي أوهن من بيت العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[10].

## ثالثا: التجرؤ على الذات الإلهية المقدسة

إنَّ مَنْ يملأ قلبه بالبغض والجحود عن أمر الله لا يتوانى في التجرؤ على الذات الإلهية المقدسة، فنجد مثلا أنَّ اليهود كانوا يجرؤون على الله بالبدع والأكاذيب، ويصفونه بما تنزَّه عنه من صفات لا يرتضيها لنفسه بشر من سائر الناس، فكيف تنسب لأجود الأجودين وأكرم الأكرمين رب العالمين! ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[11] فهم يصفونه بالبُخل والشحَّة فيأتيهم الرد صاعقاً ومنذراً بالعذاب الأليم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[12]، ولكي يدرؤوا عن أنفسهم ما أحيط بهم من الذم وعاقبة السوء فإنهم يدَّعون لأنفسهم ما ليس لهم ولا لغيرهم، فيبشِّرهم الله بسوء المنقلب: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[13]!.

٥- سورة الزمر، الآية ٣.
٦- سورة النمل، الآية ٦٤.
٧- سورة يونس، الآية ٣٥.
٨- سورة الأنبياء، الآية ٢٢.
٩- سورة النجم، الآية٢٣.
١٠- سورة العنكبوت، الآية ٤١.
١١- سورة الصافات ، الآية ١٥٩.
١٢- سورة المائدة ،الآية ٦٤.
١٣- سورة المائدة، الآية ١٨.

## رابعا: التنكيل بحامل الرسالة ومبلغها ﷺ

لقد تنوعت أساليب أعداء الإسلام في التعرض لحامل الرسالة النبي الأكرم ﷺ باتهامهم له بالجنون والكهانة والشعر والكذب، وتجرؤهم واستهانتهم بأعظم إنسان في الوجود، ولقد تصدى لهم القرآن الكريم ولمزاعمهم الباطلة: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾[14]، وقولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[15]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[16]، وحينًا يأتي التصدي لمفاهيمهم الخاطئة بأنْ تكون النبوة لمن هو أكثر مالاً وولداً! ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هُذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ من القريتين عظيم﴾[17]، فيتحول النص القرآني من حالة الدفاع إلى الهجوم من خلال الاستفهام الاستنكاري والاستخفاف والسخرية من عقولهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[18]، وامتياز المصطفى ﷺ بما لا يضاهى من الصفات الحميدة والمجد المؤثل أحرج المناوئين ومحاولاتهم في النَّيل من شخصه الكريم، فما كان منهم إلا التجرؤ عليه وقولهم بأنْ لا عقب له، فنزل قوله تعالى ليلقم أعداءه حجرا في أفواههم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[19]، والتصدي القرآني لمحاولات المساس لشخص النبي ﷺ كثيرة ومتشعبة ولا يمكن حصرها في هذه السطور، فمنهم من اتهمه في عدالته عند توزيع العطاء والغنائم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[20]، ومنهم يقول فيه أنه سمَّاع لما يُقال له، فالقرآن يردُّ على أمثال هؤلاء ويحذِّر المنافقين من عاقبة الإساءة لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[21].

١٤- سورة سبأ، الآية ٨.
١٥- سورة الطور ، الآية ٣٠.
١٦- سورة الحاقة، الآية ٤١.
١٧- سورة الزخرف، الآية ٣١.
١٨- سورة الزخرف، الآية ٣٢.
١٩- سورة الكوثر، الآية١.
٢٠- سورة التوبة، الآية ٥٨.
٢١- سورة التوبة الآية ٦١.

## خامسا: الاستهانة بفقراء المسلمين ومحاصرتهم ماديا

إنَّ احتدام الصراع بين الإسلام والشّرك قد جعل المؤمنين في صدر المواجهة وعرضة لألسنة الأعداء وشرورهم، وتنكيلهم النفسي بالمؤمنين، وخصوصاً الفقراء منهم، إلا أنَّ القرآن في كل مرة يُفوِّت الفرصة على الكفار والمشركين والمنافقين، ويفشل كل محاولاتهم في التفريق بين النبي ﷺ ومَنْ حوله، فيردّ جلّ وعلا على دعواهم للنبي في التخلي عمن حوله من الفقراء والمعوزين ممن حَسن إسلامهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[22]،كما يبدد محاولاتهم في ممارسة الضغط النفسي والتضييق على فقراء المسلمين، ومنع ما يصلهم من عون وصدقات الخيرين، فيشدُّ من أزر المؤمنين بقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[23].

## سادسا: المواجهة السلمية في النص القرآني

إنَّ آخر ما يلتجأ إليه النص القرآني هو الدعوة إلى المواجهة المسلحة دفاعًا عن النفس وحفاظاً على منعة المسلمين وهو رد فعل طبيعي للعدوان: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [24] ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[25]، فالنص القرآني يتسم دوماً بالحوار والرد العقلائي وبالقدر الذي يتطلبه من حزم: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[26]، فطبيعة الرد القرآني تتسم دوماً بالحوار السلمي الذي يتنافى مع العنف واللجوء إلى القوة في فرض الرأي والمعتقد، فعندما يصل الحوار مع الآخر إلى طريق مسدود فإنَّ أقصى ما على المسلم اتباعه هو العمل بمبدأ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[27]، وفي ذلك تهذيب لطباع المسلم وفي كيفية اتخاذه سبيل الدعوة إلى الحق.

٢٢- سورة الأنعام، الآية ٥٢.
٢٣- سورة المنافقون ، الآية ٧.
٢٤- سورة البقرة، الآية ١٩٠.
٢٥- سورة البقرة، الآية ١٩٣.
٢٦- سورة النحل، الآية، ١٢٥.
٢٧- سورة الكافرون، الآية٦.

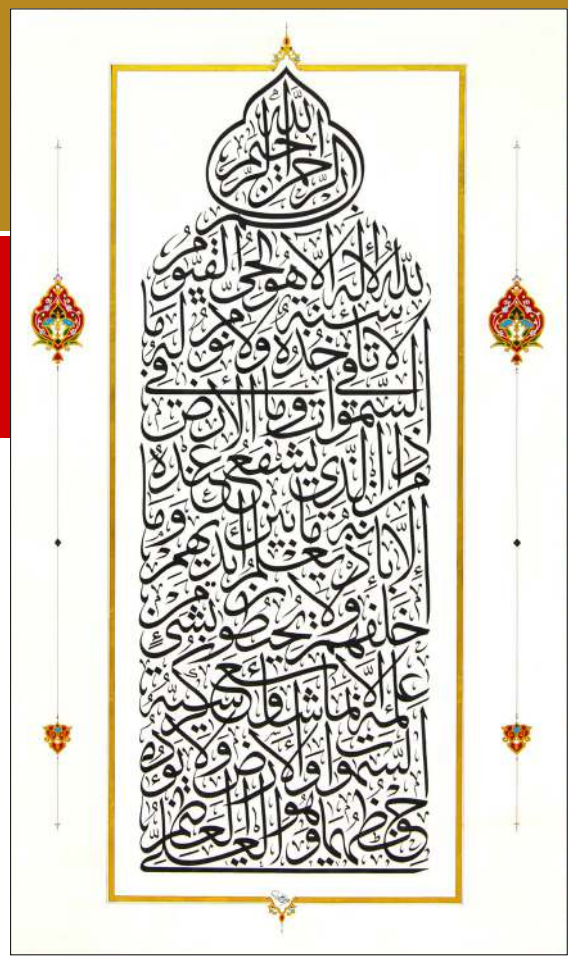

# مع آية الكرسي
# دع القلق فكل شيء تحت السيطرة

في الحلقة السابقة تكلمنا عن معنى (الحي) وقلنا إنها أرجى في دلالتها الواضحة على الرحمة الإلهية ونشر روح الطمأنينة في النفس المؤمنة، باعتبار ما أثبتنا فيها من أنَّ الله هو الحي المطلق الذي لا يعتريه الموت ولا يدهمه الفناء، أي لا يكون قابلاً للعدم لا في ذاته ولا في صفاته، وقلنا إنَّ هذا يطمئننا بدوره؛ لأنَّ مقاليد وإفاضات الحياة بيد من لا يموت.

## الحلقة الأخيرة

سمير جميل الربيعي

وبعد ما تقدّم نسلط الضوء على بيان كلمة (القيوم) ومعانيها وأبعاد وأسرار تلك المعاني وسر مرافقتها واقترانها بكلمة الحي، فالقيوم في معناها الظاهر المتبادر إلى الذهن هو صيغة من صيغ المبالغة في القائم، أي المتقوِّم بذاته، والمقوِّم لغيره ، بمعنى أنه دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وديمومته واستمراره، وكذلك القائم بأمر الخلق في إيجادهم وإرزاقهم، وقيام كل شيء به، وليس ذلك إلا لله، ولكن كلمة القيوم لا تقف عند حدود هذا المعنى فقط، بل لها من أسرار المعاني ما يخلب الفكر والنظر ويبهر العقل، وسوف نجد أنَّ كل معنى من معانيها له شعبة تمتد لتزود النفس بالطاقة الإيجابية والاستقرار والطمأنينة، وهو ما يهمنا في هذا البحث، وإليك بعض ما تحصلنا عليه من معانيها، فمنها القيوم بمعنى الذي له الشهادة والتسلط على

كل الممكنات، والمحيط بكل المعلومات جزئياتها وكلياتها، والعالم بكل ما يتعلق بأحوال النفوس القادر على تحصيل مطالبها وتهيئة مصالحها كجلب المنافع ودفع المضار، وكذلك المطلع على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بما عملت فيرفدها بالثواب عند الطاعات ويلجمها بالعقوبات عند المعاصي، وفي هذا كله إشارة خفية يدل عليها المفهوم وهي أنَّ غيره سبحانه وتعالى ليس شهيداً على أفعال الخلق وحركاتهم وسكناتهم، ولا يعلم الغيب جليله وحقيره، ويفيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1].

وسؤالنا هنا هل في هذا المعنى باعث على الطمأنينة في نفس المؤمن؟ والجواب بيِّن في معرض الآية إذ إنَّ سياق الآية يجعل النفس بين ترديدين، بين أنْ تختار إلهاً قيماً على كل شيء، له سلطة فوقية بلا حدود، مطلعاً على كل نفس بما كسبت، عالماً بسرائر النفوس وخطرات القلوب، مراقباً للأحوال والمصالح، قادراً على جلب المنافع ودفع المفاسد، وبين آلهة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشوراً، والنفس بفطرتها السليمة تشهد بأنَّ هذه الآلهة لا تمتلك تلك الصفات ولا تضاف لها تلك الأفعال وليست لها ما يؤهلها لاستحقاق الألوهية، وفي المحصلة حينما يحصل للنفس المنصاعة للحق هذا العلم ترجع في اختيارها إلى من له القدرة على فعل ذلك كله وهي مستقرة ومطمئنة، لا كالتي خالفت فطرتها واختارت أنْ تشرك ببارئها، فهذه تظل في صراع دائم مع الذات والفطرة حتى تغدو بين هذا وذاك كقشة تتراماها الأمواج الطاغية إلى سوء حالٍ ليس له انقضاء ولا انتهاء، وهناك معنىً آخر لكلمة القيوم وهو القائم بالقسط الذي لا يظلم ولا يجور ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾[2]، ومع هذا المعنى تطمئن النفس المؤمنة أنَّ حظها من الجهد والإيمان لا يمكن أنْ يذهب هدراً بلا ثمن، أو أنْ يساوى مع من لا حظ له من الإيمان، إذ لا يستقيم مع ميزان العدل الإلهي أنْ يستوي مصير المؤمن والكافر والبار والفاجر ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[3]، ويتوقف قوام عدالة الله على ثلاثة شروط:

**الأول:** لا يكون عادلاً إلا أنْ يكون عالماً بمقادير الحاجات ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[4]، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[5].

**الثاني:** أنْ يكون قادراً على تحصيل المقدرات وإنجاز المهمات، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[6]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[7]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[8].

**الثالث:** أنْ يضع تقديره وتحصيله في مقتضى المصلحة ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[9] ومنْ دون هذه الشروط لا تتحقق له هذه الصفة، إذاً وجب أنْ يتفرع عن كونه عادلاً قائماً بالقسط هو أنْ يكون عالماً بمقادير الأشياء وقادراً على تحصيلها، وأنْ يضعها في موضعها الذي يضمن تمام المصلحة، ولـمَّا كان الله كذلك، فقد ركنت النفس إلى الطمأنينة؛ لأنَّ تحصيل متطلباتها وتأمين حاجاتها موكول إلى إله قيوم قائم بالقسط لا يُبخس ولا يظلم عنده أحد وبهذا يثبت هذا المعنى، ومن معاني القيوم أيضاً الباعث على الطمأنينة عند النفس المؤمنة، هو القائم بتدبير خلقه المسير لعوالم كونه الممسك لأجرام سماواته ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾[10]، ولولا الاعتقاد بذلك لما اطمئنت النفس البشرية إلى ما سوف يؤول إليه مصير ومستقبل هذا الكون؛ فالعقل يحكم أنَّ الكون بمقتضى نظامه الهائل ومجراته الكبيرة وأجرامه التي لا يحصى عددها، لا ينفك عن التدبير، وجريان نظامه بهذه الدقة لهو أصدق دلالة وحجة على أنَّ مدبره واحد ممسك له بإحكام، وله التصرف المطلق فيه، ليس لأحد سواه أية مدخلية في أمر تدبيره وإدارته، وفي هذا ضمان من أنَّ الكون لا يتصدع نتيجة اختلاف إرادات الآلهة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[11].

ثم نأتي على معنى آخر للقيوم وهو الباقي الدائم الثابت الذي لا يزول، والذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال، المنزه عما يلحق الزمانيّات من التغيُّر والتبدل وما يطرأ عليها من البلى والفناء، وهذا المعنى أيضاً يبعث على الطمأنينة، لأنَّ النفس ستنتابها نوبات القلق ولا يستقر حالها إنْ حصل لها شك أنَّ الذي يفيض عليها بالحياة تجري عليه سنن المخلوقات، ويلحقه ما يلحق الزمنيات من عدم بقاء وعدم ثبات، ولـمّا ثبت عند النفس المؤمنة أنَّ الله دائم الوجود باقٍ بعد فناء الأشياء اطمأنت ومالت إلى الاستقرار والسكينة.

أما ما يخص اقتران لفظة القيوم بلفظة الحي، فمعظم المعاني السابقة التي ذكرناها في معنى القيوم (كالشهادة والتسلط والإحاطة بكل شيء وكونه قائمًا بالقسط والمدبر لأمر خلقه والممسك لأجرام سماواته، وأنه الباقي الدائم الوجود الثابت الذي لا يزول)، تتعشق بلفظة الحي إذ لا معنى للقيوم مثلاً كونه شاهداً ومتسلطاً على جميع الممكنات وفعالاً لكل المحدثات ما لم يكن حياً، وكذلك باقي المعاني فهي لا تحقق مدحاً لله سبحانه ما لم تكن مقرونة بلفظة الحي، والحال نفسه بالنسبة لمعنى الحي فلا يكون داركاً فعالاً لكل ما يريد ما لم يكن مقروناً بالقيوم، إذاً فهما معاً متممان للمدح والاطمئنان، وهذه هي نقطة الالتقاء وسر الاقتران الوثيق ما بينهما.

١- سورة الرعد، الآية ٣٣.
٢- سورة آل عمران، الآية ١٨.
٣- سورة ص، الآية ٢٨.
٤- سورة القمر، الآية ٤٩.
٥- سورة الطلاق، الآية٣.
٦- سورة الطلاق، الآية ٣.
٧- سورة يس، الآية٨٢.
٨- سورة البقرة، الآية١٠٦.
٩- سورة الدخان، الآية ٣٨، ٣٩.
١٠- سورة فاطر، الآية٤١.
١١- سورة الأنبياء، الآية٢٢.

# قراءة تربوية

-٢-

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1].

إنَّ في الآية المباركة موضوعات متعددة يمكن بيانها إجمالاً في هذه الوقفة القرآنية التربوية من خلال ما يأتي:

أولاً: معنى الشعائر؟ ثانيًا: مصاديق الشعائر؟ ثالثًا: التعظيم للشعائر؟ رابعًا: علاقة تعظيم الشعائر بالتقوى؟ خامسًا: تقوى القلب؟ سادسًا: منزلة التقوى؟

وقبل هذه الوقفة التربوية مع الآية القرآنية المباركة من المهم بيان ما يأتي:

١- إنَّ الآية المباركة في سياق آيات متعددة تذكر ما يتعلق بمناسك الحج التي يجب على الحاج القيام بها، وقد أشار إليه بقوله ﴿ذَلِكَ﴾، مع بيان الأبعاد التربوية لتلك الأعمال، والتي من أهمها توحيد الله تعالى وإخلاص العبودية له، قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[2].

٢- أشار القرآن إلى أهمية التعظيم بإحدى الحروف التي تفيد التوكيد ﴿فَإِنَّهَا﴾، ولم يقل مثلاً (فهي)، وفيه بيان لأهمية وعظمة ذلك التعظيم من حيث الآثار، فضلاً عن الالتفات إلى أهميته، فالتوكيد يشير إلى ذلك المقام، أو تلك الغاية المتوخاة من التعظيم للشعائر.

٣- إنَّ تنكير الشعائر وإضافتها إلى الله تعالى إشارة على أنَّها ليست مخصوصة أو معهودة بشعائر معينة، بل هي أعم مما يتعلق بالحج كما سيأتي.

## أولاً: معنى الشعائر؟

الشعائر جمع شعيرة، والشعيرة هي العلامة التي توضع لدلالة على أمر معيَّن بصورة عامة، مثل العلامة التي توضع على البَدَنَة عن النحر في الحج. وشعائر الله يعني بها جميع متعبدات الله التي أَشْعرها الله، أي جعلها أعلامًا لنا لنعرفها ونؤدي ما ورد فيها من أعمال. وهي معالم دين الله، والأعلام التي نصبها لطاعته، ولا تختص بمناسك الحج بل هي دين الله كله.

## ثانيًا: مصاديق الشعائر؟

وردت أقوال متعددة وكثيرة تنطبق على المراد من الشعائر، بعدما عرفنا المعنى الواسع للمعنى الأعم من المناسك، فمن مصاديقه:

* الصفا والمروة / قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[3].

* البُدْن / قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[4].

١- سورة الحج: الآية ٣٢.
٢- سورة الحج: الآية ٣١.
٣- سورة البقرة: الآية ١٥٨.
٤- سورة الحج: الآية ٣٦.

* صلاة الجماعة / وما فيها من معالم على طاعة الله تعالى، والوحدة بين المسلمين بما فيه من تعظيم الصلاة، والتمسك بآثار تلك اللقاءات بين المؤمنين.

* زيارة مراقد المعصومين عليهم السلام/ ففي تلك الزيارات وقصد المؤمنين مراقد الأئمة وما فيه من آثار عظيمة تدعو إلى بيان مقام الشريعة ورِفعَتها.

* كل شيء محترم وشخص مقرَّب / وفي ذلك تعظيم للأنبياء والأئمة ومراجع الدين الذين هم ورثة الأنبياء في نشر تعاليم الله. وغير ذلك من المصاديق المتعددة كالقرآن الكريم، والمجالس الدينية، والشعائر الحسينية وغير ذلك.

## ثالثًا: التعظيم للشعائر؟

إنَّ الآية المباركة قد حثت على أمر عظيم ومهم وهو (التعظيم)، وليس الأداء أو الإقامة، بل ما هو أعظم منهما درجة، فمثلاً لو أردنا تطبيق ذلك على أحد مصاديق الشعائر وهي (الصلاة)، فإننا نرى أنَّ الله تعالى قد حث على (أداء الصلاة) تارة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[5]، وفي موارد متعددة على (إقامة الصلاة)، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[6]، ففي مرحلة أولى الأداء، وفي مرحلة ثانية الإقامة، وفي مرحلة ثالثة التعظيم، وتعظيم الصلاة إنما يقوم على أساس معرفة حقيقتها، والشوق إليها، والعيش في رحابها دائمًا وعدم التواني في أيِّ أمر متعلق بها، فالله تعالى يدعو عباده إلى تعظيم الصلاة، وهذا ما رأيناه من مشاهد متعددة للمعصومين عليهم السلام، ومنها صلاة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وسط القتل والقتال، فهذا هو حقيقة التعظيم، وهكذا الحال في العبادات الأخرى كالصوم والحج والخمس وإتيان المساجد وبر الوالدين وغيرها، فعلى العبد أنْ يكون معظمًا لها، وليس مؤدياً فقط.

## رابعًا: علاقة تعظيم الشعائر بالتقوى؟

إنَّ الآية المباركة تبين أنَّ هناك علاقة وثيقة بين الشعائر الإلهية والوصول إلى منزلة التقوى، والتي هي أعلى منزلة من الإيمان والإسلام كما ورد في بعض الأحاديث، فيجب أنْ توصل تلك الشعائر إلى التقوى، ويجب أنْ تظهر آثار التقوى على ما يصدر من الإنسان، وكذا العكس في تأثير تلك الشعائر بالوصول إلى منزلة التقوى، فمثلاً

٥- سورة المعارج: الآيات ١٩-٢٣.
٦- سورة الأنفال: الآيتان ٢-٣.

قال تعالى في آثار بعض الشعائر وهي الصوم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[7]، فالمؤمن الذي لا تؤثر الطاعات عليه للوصول إلى المنازل الرفيعة فليعلم أنه لم يعظِّمها كما أراد الله عز وجل!!

## خامسًا: تقوى القلب؟

إنَّ الله تعالى قد ذكر القلب إشارة صريحة منه إلى عظمة القلب ومنزلته وآثار في الأقوال والأفعال التي تصدر من الإنسان، وفيه دعوة للاعتناء بسلامة القلب من كُلِّ ما يؤدي إلى انحرافه عن أنوار الطاعات، وهذا ما ينجي الإنسان من أهوال يوم القيامة حيث لا يخفى شيء فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[8]، وورد أنَّ أضاف التقوى إلى القلوب لأنَّ حقيقة التقوى تقوى القلوب، وقيل أراد صدق النية، فعلينا أنْ نكون في مراقبة تامة للقلب وما يصدر عنه مطلقًا، وفي ذلك منزلة عظيمة من آثار تعظيم الشعائر.

## سادسًا: منزلة التقوى؟

إنَّ منزلة التقوى من المنازل العظيمة، والدرجات الرفيعة عند الله تعالى، فالمتقون يكون الله معهم قال عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[9]، والمتقون هم أحباب الله تعالى فقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[10]، وإنَّ دعاءهم مستجاب من دون غيرهم فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[11]، وأما آثار تلك المنزلة في الآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[12].

فلنتأمل أيها الإخوة والأخوات في الشعائر كلها، وآثار تعظيمها التي حث الله عليها، وما في ذلك من ثواب عظيم، ومنزلة رفيعة.

إنَّ هذه الوقفة القصيرة مع الآية المباركة تدعو إلى التأمل في كتاب الله تعالى، والتزود منه للدنيا والآخرة، وتهذيب النفوس بالتربية الإلهية.

٧- سورة البقرة: الآية ١٨٣.
٨- سورة الشعراء: الآيتان ٨٨-٨٩.
٩- سورة البقرة: الآية ١٩٤.
١٠- سورة التوبة: الآية ٤.
١١- سورة المائدة: الآية ٢٧.
١٢- سورة الدخان: الآيات ٥١-٥٧.

# رؤى قرآنيـــة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الروم:٢١.

## الرؤية الأولى

إنَّ الزواج سُنة من سنن الله تعالى في الخليقة، كما إنه من سنن الأنبياء عليهم السلام. وقد جاء الحث عليه في كثير من الروايات الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والعزوف عنها إعراض عن السنة النبوية. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (النكاح سنتي فمن رغب، عن سنتي فليس مني)[1].

## الرؤية الثانية

الزواج يعني تكوين أسرة، أو يعني رص اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإنساني، فإذا صلحت صلح المجتمع وعم الخير والسعادة. ولذا أولت الشريعة المقدسة اهتمامها على تكوين أو بناء هذه اللبنة بالشكل السليم، فضلاً عن الحث والمبادرة للزواج، وفق نصائح وإرشادات تلائم هذا البناء. وأول الإرشادات: الاختيار(اختيار الزوجة) كما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وآله حين قال: (اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين)، وقال: (تخيروا لنطفكم، فإنَّ العرق دساس)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إنما المرأة قلادة فانظر إلى ما تقلده). وقال صلى الله عليه وآله مرشداً الآباء: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسادٌ كَبِيرٌ)[2]، والنتيجة إنَّ من يرفض صاحب الدين والخلق الحسن، ويرغب في أصحاب الحسب والنسب والمال، أحدث الفتنة والفساد.

## الرؤية الثالثة

من المعوقات التي قد تسبب في ترك الشباب للزواج، أو حتى التفكير فيه، المهور العالية التي يطلبها أولياء الأمور أو الطلبات غير المعقولة، أو الشروط المقيتة التي توضع، أو العرف الباطل الذي يفرض على الناس. فإذا ما أراد الرجل أنْ يتزوج واتبع الإرشادات والنصح المتوفر لديه وتقدم إلى العائلة الفلانية ليطلب يد كريمتهم، فإذا به يتفاجأ بطلبات تلك العائلة. مثل المهر العالي الذي يعجز تقديمه، أو هناك شروط يجب أنْ يحققها الرجل، أولها أنْ يكون له بيت يستقل فيه بعد الزواج. أو أن يكون من حملة الشهادات العليا، أو موظف يتقاضى أجوراً كبيرة، أو أنَّ عائلة الرجل لم تكن بمستوى عائلة المرأة من حيث الأموال والسكن والعشيرة، لأنَّ عائلة المرأة تسكن المنطقة الفلانية والرجل يسكن المنطقة الشعبية البسيطة. أو أنَّ العشيرة التي ينتمي إليها الرجل تتصف بصفة معينة أو هناك خصومة بين عشيرة المرأة وعشيرة الرجل، وهكذا دواليك فإنَّ هناك من المعوقات ما يجعل الرجل يعزف عن الزواج. وقد يكون العكس فإنَّ المعوق يكون من جهة الرجل، فيطلب الزواج من امرأة ذات مواصفات معينة، فيتعذر عليه وجود تلك المرأة المثالية التي رسمها في مخيلته، وبذلك يفوت فرص الزواج الجيدة.

## الرؤية الرابعة

لو افترضنا توافق الرجل والمرأة على الزواج، وقَبِلَ كل منهما بالآخر على وضعه وحاله الطبيعي، وحصل الزواج وانضمت المرأة إلى الرجل في بيت الزوجية كيفما كان، واتبعوا إرشادات الشريعة ونصائحها أو ما صلح من العرف، فماذا يثمر هذا الزواج؟ قطعًا ومن المؤكد أنَّ السعادة تغمر الزوجين وهما في ظل عشهما وحياتهما الجديدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهما سيضعان اللبنة الصحيحة في سور المجتمع السليم الذي لا تصدّعه ذرات الرمل الخاوية أو الريح العاتية، أسرة تمتنع عليها الأمراض الاجتماعية، والمعلوم أنَّ الحياة الزوجية بناء أساسه: السكون والمودة والرحمة فبالمودة والرحمة يتم بناء بيت الاستقرار والألفة. فالبيت الذي يملأه الدفء والسرور ويعمره الذرية الطيبة المباركة هو ذلك البيت الذي يتعامل الزوجان فيه بالمعروف الشرعي والعرف الصالح، فيؤدي كلٌّ منهما حقّ الآخر بالمستوى المتعارف شرعاً أو عرفاً صالحاً.

## الرؤية الخامسة

ولو عكسنا الصورة وحصل الزواج وفق العرف الباطل أو حَكَمَ هذا الزواج العادات والتقاليد حتى أصبحت منهجاً للحياة الجديدة، ماذا ستكون النتائج؟ جزمًا ستكون النتائج سلبية، فأعراض المرض تبدأ مبكراً، والخلافات قد ظهرت، وتفككت الروابط، وانهارت العلاقات، وغالباً يحصل الانفصال، وإن استمر الزواج فيعيش أهل ذلك البيت غرباء تعساء، لا يُعرف فيه طعم الراحة، وقد خلا البيت من السكن وغابت عنه المودة والرحمة. التي هي أساس السعادة الزوجية.

١- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ١٠٠، ص٢.

٢- تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي، ج٢ ص٦٠٣.

# فتبيَّنوا..

رغد عزيز

يراعي القرآن المجيد في آياته الكريمة كل جوانب الحياة ليوجد للإنسان بيئة صالحة تساعده على العيش الكريم، إذ إنه لم يقتصر على الجانبين العقائدي والفقهي فحسب، بل شمل أيضاً بين دفتيه جوانب أخرى ومنها الجانب الاجتماعي، إذ تجلت فيه وبشكل واضح معالم بيان المنظومة الحياتية المتكاملة التي من شأنها أن تقي الإنسان من الانزلاق في الهاوية واتباع الضرر، ومن بين تلك المناهج التي بينها القرآن الكريم كيفية الحفاظ على النسيج الاجتماعي من خلال حث الناس على اتباع الخطوات اللازمة قبل تكوين رأي أو انطباع معين تجاه الآخرين أو نَسْبِ الخطأ أو الجرم إليهم مما يدعو إلى محاسبتهم واتخاذ القرارات بحقهم، لكون أنَّ هذا الأمر لا يمكن بناؤه على مجرد الظن أو الشك، أو حتى الاستماع لقول قائل فحسب، وإنما يتطلب البحث الدقيق في الأمور، والتسبير في معرفة لطائف أسبابها ودواعيها، لذلك دعانا الله تعالى لطلب البينة الدالة على تلكم الأخطاء والتهم التي على أساسها تصرُّفنا مع مقترفيها، إذ قال المولى لنا في محكم كتابه العزيز(فتبينوا)، فقد جاء تنبيه العقلاء على هذا النهج السوي في قوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، ويقال: (تبين الأمر إذا ظهر، ويقال أيضاً: تبينته إذا عرفته)[2]، ويعود سبب نزول هذه الآية المباركة أنها نزلت في (الوليد بن عقبة) عندما أخبر النبي ﷺ عن امتناع بني المصطلق عن دفع الزكاة (وأضاف بعضهم أنه ﷺ حين أخبره الوليد بن عقبة بارتداد قبيلة (بني المصطلق) أمر خالد بن الوليد بن المغيرة أن يمضي نحوها وأن لا يقوم بعمل حتى يتريث ويعرف الحق، فمضى خالد ليلاً وصار قريباً من قبيلة بني المصطلق وبعث عيونه ليستقصوا الخبر، فعادوا إليه وأخبروا بأنهم مسلمون"أوفياء لدينهم" وسمعوا منهم صوت الآذان والصلاة، فغدا خالد عليهم في الصباح بنفسه فوجد ما قاله أصحابه صدقاً فعاد إلى النبي ﷺ وأخبره بما رأى فنزلت الآية آنفة الذكر)[3].

(وقد أمضى الله سبحانه في هذه الآية أصل العمل بالخبر وهو من الأصول العقلائية التي يبتني عليه أساس الحياة الاجتماعية الإنسانية، وأمر بالتبيّن في خبر الفاسق وهو في معنى النهي عن العمل بخبره، وحقيقته الكشف عن عدم اعتبار حجيته وهذا أيضاً كالإمضاء لما بني عليه العقلاء من عدم حجية الخبر الذي لا يوثق بمن يخبر به وعدم ترتيب الأثر على خبره)[4]، ويمكن قياس الأمر ذاته على مسألة الظن أو الشك، فيلزم العقلاء التحري الدقيق للتأكد من صحة ظنونهم وشكوكهم قبل اتخاذهم أي قرار أو إصدار الحكم على الآخرين.

١- سورة الحجرات: الآية٦.

٢- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي، ج٩، ص٣٤٤.

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٦، ص٥٢٥.

٤- تفسير الميزان: السيد الطباطبائي، ج١٨، ص٣١١.

# ما لكم كيف تحكمون؟

زينب حسين

قصص كثيرة وحكايات غريبة وقضايا عجيبة وأحداث مروِّعة تقشعر منها الأبدان، يثقل بها ميزان العدالة وتتأرجح كَفَّتاه بين ظالم ومظلوم، معتدٍ ومعتدى عليه، لتستقر وتتساوى بالحكم الفصل بينهم.

توالت المرافعات وتعاقبت النزاعات ما بين الأطراف المتضادة يكتنفهم جو مشحون بالخوف والقلق، ودفاعات مستميتة للمحامين، إذ يتنافسون كفريقين وقد تراموا بالمناظرات الكلامية الحادة، معززين حديثهم بشهود وأدلة من أجل كسب القضية لصالح موكليهم، لأدخل أنا في دوامة كبيرة ومعترك ضارٍ، أصد الهجمات بالحزم والقوة تارة، وأمتص ثورات الغضب بالكلمة الطيبة والأسلوب اللطيف تارة أخرى، حتى ألقي كلمة الفصل والحكم الأخير، مستحضراً القوانين التي تخص كل قضية، مع صدر واسع ورحب، وذهن متوقد، وتركيز دقيق، وضبط للنفس؛ لكي لا يصدر مني حكماً خاطئاً يُظلم فيه أحد الطرفين.

تهالكت قواي في نهاية الدوام الرسمي، وبدأ رأسي يتصدع من كثرة المرافعات، إلى أنْ جاء دور القضية الأخيرة، وقبل أنْ أفتح ملفاتها امتعضت إذ بانت مدلولاتها من وجوه أصحابها، إنها مشكلة العصر الحديث، والوباء الذي أصبح يتغلغل في عقول الشباب ليرهقوا به القضاء.

وبعد أن اطلعت على أبعاد القضية سألت المُدَّعي مؤكداً: هل أنت مصرٌّ على الطلاق حقاً؟ أجابني ووجهه متجهم: نعم، بالتأكيد يا سيدي القاضي، فلا مجال للمناقشة والجدال، قلت له: وما هو السبب الذي دعاك إلى طلاق زوجتك بعد مرور ثلاثة أشهر على زواجكما؟ أجابني بحزم: لأنها لم تطعني، ولم تأتمر بأوامري، وكما تعلم يا سيدي فإنَّ طاعة الزوج واجبة، وهي من حقوق الزوج.

قاطعته بقولي: وماذا تعرف عن حقوق الزوجين؟ فبدأ يسرد الأحاديث التي وردت في الأثر، حتى استحسنت كلامه وبلاغته، وقلت في نفسي: إنه رجل مثقف ومطلع على الأمور الشرعية، وليس كباقي الشباب الذين لا يفقهون شيئاً، ولا يراعون الحقوق الزوجية، ويعزمون على الانفصال عن زوجاتهم من دون وعي.

فقلت له: كان عليك أنْ تفيض عليها من معارفك وتبيِّن لها مبادئك، وتصبر عليها إذا أخطأت، لا أنْ تحكم عليها بالطلاق في مدة وجيزة.

فأجابني بغضب وحدّة: لقد أكدت لها مراراً بأنْ تطيع والدتي؛ لأنَّ طاعتها من طاعتي لكنها عصتني وأصرَّت على إيذاء والدتي بعدم تنفيذ أوامرها، مما جعلها ترفض وجودها وطلبت مني أنْ أطلقها، وكما تعلم يا سيدي القاضي فإنَّ بر الوالدين من الواجبات الشرعية التي أمرنا الله تعالى بها، وعليّ الإذعان حتى لا أكون من أهل العقوق، وإضافة إلى ذلك فقد خرجت من البيت قاصدة أهلها من دون علمي، وكما هو وارد إنَّ الخروج بغير إذن الزوج من حق الزوج على زوجته.

والتفت إلى الزوجة وقلت لها: هل ما يَدَّعيه زوجكِ صحيح؟ فأجابتني والدموع تنهمر من عينيها: سيدي القاضي، إنَّ حديثه لا يشوبه الخطأ، وأنا أعرف تماماً الحدود الشرعية للزوجة تجاه زوجها، وأعلم أنَّ زوجي هو بارٌّ بأمه، وأنا كنتُ جاهدة أحاول البر بها مثل أمي، ولكن الحقيقة التي تبين براءتي لم يشأ أنْ يسمعها مني والتي بادرتُ مراراً لأتحدث معه عنها، مستخدمةً كل السبل لإيصالها إليه، ولكنه سدَّ كل الأبواب في وجهي، وأصرَّ على الطلاق الذي لم أكن أسعى إليه إلى حد هذه اللحظة، وإذا نطقَ بها الآن فليعاهدني أمامك بأنْ لا يتراجع عن قراره في طلاقي.

أذنتُ للزوج بالرد، فأجاب مستهزئاً بزوجته: كل ما تقولينه لا يهمني، ولن أتراجع أبداً عن أمر الطلاق مهما حاولتِ.

فأشرت للزوجة بأنْ تقول كل ما لديها، فأجابت متألمة: لقد أيقظتني أم زوجي في ذلك اليوم، وطلبت مني أنْ أنظف البيت وأرتبه لحين عودتها من السوق، ولمَّا نهضت من فراشي بسرعة شعرت بالدوار حتى أغمي عليَّ، وصحوت عندما رجعت من السوق لتتفاجئ بأنَّ كل شيء في البيت لم يتغير، فثارت ثورتها وظنت بأنني ما زلت نائمة إلى وقت متأخر، ولم أنفذ طلباتها عناداً مني، وتمرداً على أوامرها، لهذا لم تستمع إلى تبريري، ولم تسمح لي بنطق أي كلمة، وأجبرتني على الخروج، حتى ذهبت إلى بيت أهلي وأنا منهارة ويائسة، لأكتشف بعدها بأنني حامل بعد تكرار حالات الإغماء لديَّ، ولا أدري ماذا أفعل، وكيف أتصرف، بعد أنْ باءت كل محاولاتي ومحاولات أهلي وأقاربي بالفشل بالاتصال بزوجي، وإخباره بالحقيقة التي سمعها بعد فوات الأوان.

كان كلامها كالصاعقة حتى فقدت أعصابي، ورميت بالقلم الذي كان في يدي، لأنبري صارخاً بحرقة قلب: الله أكبر، ألهذا السبب التافه تريد طلاقها؟ لو استمعت لها منذ البداية لحلت المشكلة، ولم يكن هناك أي قضية ولا معضلة، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لقد فندتم جميع القوانين، وقلبتم جميع الموازين، وصرتم كما يقول النبي عيسى ﷺ: (تلومون الناس على الظن، ولا تلومون أنفسكم على اليقين)[1]، ولم تنتفعوا بالحكم، ولا المواعظ التي جرت على ألسن الواعظين والحُكماء ولم تفقهها عقولكم، وهذا ما حذرنا منه المسيح ﷺ قائلاً: (لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب، ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم)[2]، ولم تفهموا بأنَّ أساس الدين المعاملة، وأصبحتم كما يقول الإمام الحسين ﷺ: (إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[3].

فاحمر وجه الزوج وازرقَّ لونه، حتى وقع على الكرسي مغشياً عليه، لا يدري ما يفعل، أيغطي وجهه بيديه، أم يدسه بالتراب؟

وعندها صحا الزوج من سكرة غضبه نادماً على سرعة اتخاذه مثل هذا القرار الخطير، قال لي بلسان خافتٍ من الخجل: سيدي القاضي: لقد أيقظتني كلماتك ونصائحك العظيمة، لقد عرفت الآن أنني كنت مُتسرِّعاً في ذلك، وقال: اسمح لي أن آخذ زوجتي الغالية أم طفلي، وأنا أتعهد أمامك بأن أرعاها ولا أُحزنها أبداً.

لقد كانت خاتمة مرضية أنستني تعب وإرهاق هذا اليوم، وتمنيت في نفسي لو أن قصص الطلاق تضمحل لتصبح النهايات سعيدة.

١- ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤، ص٥١.

٢- المصدر نفسه، ج٤، ص١٠١.

٣- المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٩.

# عليٌّ عليه السلام قرين القرآن الكريم

## الحلقة الأولى

**ما أنْ يقترن الشيء بالشيء حتى يحصل ما بينهما ملازمة تصل إلى ما يشبه الاتحاد والاندماج وكأنهما شيء واحد، وهذه نتيجة طبيعية ومنطقية لحصول الاقتران، فلو تلازما صديقان بعلاقة حميمة وثبتت لهما جهات جامعة يتّحدان بها، واعتاد الناس منهما ذلك صعب على الناس ذكر أحدهما بمنأى عن الآخر،**

وخير مثال على ما نعنيه هنا هي علاقة الارتباط والملازمة ما بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والقرآن الكريم، وقد نوَّه رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه العلاقة وحاول إبرازها في صورة مشرقة بأمر من الله سبحانه وتعالى، من خلال التأكيد عليها في أكثر من موطن ومناسبة حيث قوله صلى الله عليه وآله: (عليٌّ مع القرآن، والقرآن معه، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[1]، وتأكيده صلى الله عليه وآله إنما هو لدفع الأمة باتجاه الاعتقاد بها؛ لأنَّ في هذا مصلحة عظيمة يكون عودها ونفعها على الأمة عظيم، إذ إنَّ منطق الشريعة يقول حتى يتم أخذ الأحكام الشرعية الصحيحة من منهلها الصحيح باطمئنان وتطبيقها تطبيقاً فعلياً، وامتثال أوامر الله سبحانه وتعالى امتثالاً حقيقياً، لا بد أنْ يكون هناك شخص بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، مؤهلاً ومعداً إعداداً أميناً لفهم القرآن ومعرفة أحكامه وأسراره وتفسيره وتأويله ومعرفة محكم آياته من متشابهها، يقوم ببيان القرآن وأحكامه على أتم صورة كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبينه، ولا بد لمن ينوب عنه، ويؤدي مهمته أنْ يكون من أهل ثقته، ونحن نعلم أنَّ أقرب الناس مكانةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأكثرهم حيازةً لثقته وأكثرهم فهماً وعلماً بالدين والقرآن وأشدهم تنمراً في ذات الله وحمازة وخشونة على نفسه وأسبقهم للإسلام هو أمير المؤمنين عليه السلام، وكثرة الأحاديث وإشادات رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه تمنع من تسرب أدنى شك إلى مكانته وقربه وأهليته لحمل المسؤولية، ولو أمعنا النظر في إشادات رسول الله صلى الله عليه وآله لتحقق عندنا هدفان في آن واحد، الأول إثبات أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أهل لهذا التكليف، وأكثر تكيُّفاً لأداء هذه المهمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولياقةً واستعداداً لهذا الأمر، والثاني إثبات العصمة له وهي كافية في تعيينه، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (عليٌّ مع الحق، والحق مع عليٍّ، يدور معه حيثما دار)[2]، وهذا الحديث جاء بألفاظ أخرى مثل: (عليٌّ مع الحق، والحق مع عليٍّ، اللهم أدر الحق مع عليٍّ حيثما دار)، (عليٌّ مع الحق، والحق معه، وعلى لسانه، والحق يدور حيث ما دار عليٌّ)، (عليٌّ مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع عليٍّ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[3]، إنَّ تواتر مثل هذه الأحاديث يكشف عن حقيقة هذا الارتباط الوثيق بين عليٍّ والقرآن والحق، ولكن ما يهمنا في محور هذا المقال هو هل هناك جهات جامعة تكون نتيجتها هذا التلازم والارتباط، ثم لو أردنا إثبات ذلك فما الأدلة التي يمكن أنْ نستند إليها ونحن بإطمئنان من ذلك.

وقبل ذكر الجهات الجامعة ما بينهما لا بد أنْ ننوِّه إلى أننا سوف نسوق الدليل لأثبات الجهة لأمير المؤمنين فقط دون القرآن؛ لأنَّ القرآن قد تسالم عليه جميع المسلمين ولا خلاف بينهم، على عكس أمير المؤمنين عليه السلام الذي ما اختلفت الأمة على أحد بأشد مما اختلفت فيه؛ لأجل ذلك يحتاج منا أنْ نثبتها له بالدليل العقلي أو النقلي أو بكليهما، وهناك أكثر من جهة يمكن ملاحظتها، ويجب أنْ ننوه أيضاً إلى أن موضوع البحث غزير ومتشعب ويحتاج منا للإحاطة به من جعله في حلقتين نذكر في كل حلقة ثلاث جهات اتحاد.

١- رواه الخوارزمي في مناقبه: ١١٠ بإسناده عن أم سلمة ضمن حديث. وأورده في كشف الغمة للإربلي: ١ / ١٤٨ مرسلا عن أم سلمة عنه البحار للمجلسي: ٣٨ / ٣٤، وفي الطرائف لابن طاووس: ١ / ١٠٣ ح ١٥٢ نقلا من مناقب ابن مردويه. وللحديث مصادر أخرجها في إحقاق الحق للتستري: ٥/ ٦٣٩ - ٦٤٥ وج ١٦ / ٣٩٨ - ٤٠١ بطرق وأسانيد متعددة.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ،ج٢ ص٢٦٠.

٣- إحقاق الحق، ج ٥ / ٦٢٣ - ٦٤٥.

## الجهة الأولى

إنَّ أول ما يتبادر إلى الذهن هي جهة العصمة التي تعتبر العامل المشترك الأكبر فالله تعالى قد أخبر أنَّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤]، وهذه الآية بينة واضحة في عصمة القرآن ولا يحتاج معها إلى بيان وتفصيل فالكل مجمع على أنها ذاهبة باتجاه عصمة القرآن، أما عصمة أمير المؤمنين عليه السلام فقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله عليها في قوله: (من فارق علياً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل)[٥]، فلو أجرينا تسالماً احتمال عدم عصمة أمير المؤمنين عليه السلام وصدور الخطأ منه ولو في بعض المسائل لوجب أنْ نخالفه ونفارقه في خصوص هذه المسائل، وهذا يتنافى ويتعارض مع ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله من عدم مفارقة أمير المؤمنين مطلقاً، كما أنَّ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: (عليٌّ مع الحق، والحق مع عليٍّ، يدور معه حيثما دار) له دلالة عقلية أيضاً على عصمة أمير المؤمنين، إذ لو احتملنا (بالدليل النقضي) أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام، لم يكن مع الحق ولم يدر معه ولو للحظة واحدة لانتفت المعية وانتفى الدوران بالكلية، ولكان قول رسول الله (والعياذ بالله) قولاً لغواً يخالف ما قصده من الحديث، إذ لا يجوز له أنْ يخبر بنحو الاطلاق بأنَّ الحق مع شخص جاز وقوع القبيح منه.

## الجهة الثانية

القرآن كتاب هداية فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٦] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[٧]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٨]، وأمير المؤمنين يماثل القرآن في كونه إمام هداية لقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر: (يا عمار، إنْ رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي وَدَع الناس، إنه لن يدلّك على ردى، ولن يخرج من هدى)[٩]، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : (أما إنك المبتلى والمبتلى بك، أما إنك الهادي لمن اتبعك، ومن خالف طريقك ضل إلى يوم القيامة)[١٠]، وقول رسول الله لعلي في قضية بني جذيمة (أرضيتني، رضي الله عنك، يا علي، أنت هادي أمتي. ألا أنَّ السعيد كل السعيد من أحبك، وأخذ بطريقتك. ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك، ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة)[١١]، نفهم من هذه الأحاديث تصريحاً وتلميحاً أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو إمام هداية لا شك في ذلك، أما الدليل العقلي فيقودنا نحو نظرية الاحتمالات، فنحتمل إما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الأمة بدون إمام أو لا، فإن قلنا إنه لم يعيّن لزم القول بإنه قد فرط بالمشروع الإلهي الكبير، وترك إمامة الناس هملاً تتخطفها أيادي غير أمينة تتخذ دين الله هزواً ومال الله دولاً وعباد الله خولاً، وهذا ما لا يمكن تصوره، إذ كيف يترك أمته كهمل النعم لا تعرف قائدها ولا تهتدي لإمامها، وهو رسول الله الذي ضحى بالغالي والنفيس من أجل إتمام رسالة ربه وهداية الناس وإنقاذهم من الضلالة، والمعروف عنه أنه ما ترك غزيّة أو سريّة مهما كانت صغيرة إلاّ وأمَّر عليها أميراً، فكيف يجعل الأمة من دون إمام، فتعيَّن أنْ يجعلها تحت ظل إمام، وفي هذه الحالة يرد احتمالان آخران إمَّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وجَّه الأمة لاختيار إمامها من دون أنْ يعيّن شخصه أو أنه عيَّنه بالاسم، الاحتمال الأول ساقط من رأس لسببين الأول لعلم رسول الله بأنَّ هناك من لا حريجة له في الدين ينتهز الفرص، وهؤلاء عادة ما يكونوا دهاة قادرين على خداع الناس البسطاء، ولكي يقطع عليهم الرسول لا بد من أنْ ينصَّ عليه بالاسم، والسبب الثاني ورود نسبة ليست بالقليلة يكون فيها اختيار الأمة لقائدها اختياراً غير موفقاً لقصور الأمة عن معرفة مصلحتها على المدى البعيد، فكم من تجربة حكم أخبرنا بها التاريخ كان نصيبها الفشل رغم اختيار الأمة لحكامها، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يترك أمته تمارس اختيارها لقائدها اعتماداً على حظها لأنَّ الأمر خطير ولا يحتمل المجازفة والحظ، فتعيّن على الرسول أن ينص على الإمام الذي سوف يتولى قيادة الأمة من بعده باسمه وشخصه، وهنا يرد أيضاً احتمالان الأول، إما إمام هدى أو إمام جهل وضلال ولا يحتمل من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يجعلها في ذمة إمام ضلال والعياذ بالله يتخبط بالناس يمنة ويسرة، لذا لا بد أن يكون المنصوص عليه هو إمام هداية تكون الأمة في ظله في سلامة من دينها وهذا الإمام هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فتثبت له هذه الجهة عقلاً.

## الجهة الثالثة

القرآن وعلي كلاهما صنيعة الله ومحل رعايته وعنايته، فالقرآن كتابه المقدس المقترن باسمه، الموصوف من قبله بالحكمة في قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[١٢]، وبالعظمة في قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[١٣]، وبالمجد في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾[١٤]، ويكفي في مقام رعاية الله للقرآن أن أضاف تعليم القرآن إلى نفسه فقال عز من قائل: ﴿الرحمن عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[١٥]، وجعله مُظهر علمه وحكمته ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[١٦]، وعلي عليه السلام حجة الله وخليفته على عباده لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا وهذا حجة الله على عباده يوم القيامة)[١٧]، وقوله: (علي حجة الله وخليفته على عباده)، وعلي موصوف من قبل الله بالنبأ العظيم في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾، وبالحكيم في قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[١٨]، والصراط المستقيم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١٩] ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢٠]، بشهادة قول رسول الله صلى الله عليه وآله له عليه السلام: (يا عليُّ أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى)[٢١]، ومن رعاية الله له أن جمع فيه من خصال الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ما لم يجمعها لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أحب أن ينظر إلى إسرافيل في هيبته، وإلى ميكائيل في رتبته، وإلى جبرئيل في جلالته، وإلى آدم في سلمه، وإلى نوح في خشيته، وإلى إبراهيم في خلته، وإلى يعقوب في حزنه، وإلى يوسف في جماله، وإلى موسى في مناجاته، وإلى أيوب في صبره، وإلى يحيى في زهده، وإلى يونس في سنته، وإلى عيسى في ورعه، وإلى محمد في حسبه وخُلُقه، فلينظر إلى علي، فإن فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء جمعها الله فيه ولم يجمعها لأحد غيره)[٢٢]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حق نفسه: (ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني)[٢٣]، ومن مظاهر العناية الإلهية لأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً ولادته في جوف الكعبة، واكتناف رسول الله صلى الله عليه وآله له وحضانته صغيراً (وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه)، ولقد تخللت هذه الحضانة حظوة كبيرة من التربية والتعليم ما حظى بها أحد من العالمين، (.. يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به...) وكل ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا عليُّ إنَّ الله أمرني أنْ أدنيكَ وأعَلِّمك لتَعِيَ)، يدل ذلك على العناية الإلهية والرعاية الربانية لأمير المؤمنين عليه السلام، لاعداده إعداداً يتناسب ومهمته العظيمة، بهذا تثبت العناية والرعاية الإلهية لأمير المؤمنين عليه السلام كما ثبتت للقرآن الكريم فيتحدان الاثنان من هذه الجهة أيضاً.

---

٤- سورة فصلت، الآية ٤٢.
٥-الفصول المختارة، ١٣٥، بحار الأنورن الشيخ المجلسي، ج١٠، ص٤٤٥.
٦- سورة البقرة، الآية ٢.
٧- سورة البقرة، الآية ٢.
٨- سورة الأعراف، الآية ٥٢.
٩- تاريخ البغدادي، الخطيب البغدادي، ج١٣، ص ١٨٧.
١٠- بحار الأنوار، ج٣٨، ص٣٩.
١١- الأمالي للشيخ الصدوق (ط سنة ١٤١٤هـ)، ص٤٩٨، بحار الأنوار، ج٢١، ص١٤٣، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج١١ ص٢١٩.
١٢- سورة يس، الآية٢.
١٣- سورة الحجر، الآية ٨٧.
١٤- سورة البروج ، الآية ٢١.
١٥- سورة الرحمن، الآية ١ ،٢.
١٦- يورة النمل، الآية ٦.
١٧- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازلي، ص٥٨.
١٨- سورة الزخرف، الآية ٤.
١٩- سورة المؤمنون، الآية ٧٣.
٢٠- سورة النحل، الآية ٧٦.
٢١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ٩.
٢٢- الإمام علي في الأحاديث النبوية، للعلامة السيد محمد إبراهيم الموحد، ص٢٢١.
٢٣- الكافي، للشيخ الكليني، ج١ ص٢٠٧.

# التقوى وآثارها

محمد أيوب

حث الله تعالى في آيات القرآن الكريم على جملة من المفاهيم التي تهدف إلى صيانة النفس والمحافظة عليها لتحقيق سعادة الإنسان وخيره، كما ورتّب الله تعالى على تلك المفاهيم آثاراً لا تنحصر بزمان دون آخر ولا بعالم دون آخر، ومن هذه المفاهيم: كفّ الأذى وغضّ البصر عمّا حرّم الله والصّدق وغيرها، تتفرع كلها من مفهوم أساسي واحد يتسم بالشمولية ويقوم على الإخلاص ألا وهو التقوى. في هذا المقال سنسلط الضوء على معنى التقوى وآثارها المادية والحسية.

## تعريف التقوى

عرفت التقوى في اللغة بأنها: (جعلُ النفس في وقاية مما يخاف)[1] فكلّ أمر مخيف ينبغي تجنبه حفاظاً على النفس.

ومن جانب آخر جاء تعريف التقوى في الشرع: (حفظ النفس عما يُؤثِم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المُباحات لما روي: (الحلال بيِّن، والحرام بَيِّن، ومَن رتع حول الحِمَى فحقيقٌ أنْ يقع فيه)[2]، ومن هذا التعريف نستطيع القول بأنَّ التقوى لا تقتصر على اجتناب المحرمات بل تتضمن أيضاً اجتناب الشبهات من الأعمال مخافة الوقوع في المحرمات وهذا من معاني الاحتياط الذي ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام: (الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة...)[3].

## آثار التقوى

وردت في القرآن الكريم آيات عدة تبيّن الآثار المادية والحسية للتقوى ومن بينها:

- التقوى عندما يعضده الإيمان فتكون من أسباب الرزق ونزول البركة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[4]، في بيان معنى الآية نكتفي بذكر ما ورد في تفسير الأمثل قوله: (الملفت للنظر أنّ فائدة التقوى والإيمان لا تقتصر على نزول البركات الإلهية، بل هما سبب في أنْ يَصرف الإنسان ما لديه في المصارف اللازمة الصَحيحة.

ففي المثل نلاحظ اليوم أنّ قسماً كبيراً من الطاقات الإنسانية، والمصادر الاقتصادية تصرف في سبيل سباق التسلح وصنع الأسلحة المدمّرة. وبذلك تنعدم البركة فيها، ولا تثمر سوى الدمار والخراب، ولكن المجتمعات البشرية إذا تحلّت بالتقوى والإيمان، فإنّ هذه المواهب الإلهية سيكون لها وضع آخر، ومن الطبيعي أنْ تبقى آثارها وتخلّد، وتكون مصداقاً لكلمة البركات)[5].

- التقوى سبب في زيادة البصيرة والعلم وقوة الحواس، وفي هذا المعنى وردت آيات عدة منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[8].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[9].

ولعل في قصة نبي الله يعقوب عليه السلام وابنه يوسف عليه السلام خير دليل حيث قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ

---

١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة (بيروت – لبنان)، كتاب الواو، ص٥٣٠.

٢- المصدر السابق نفسه، ص٥٣١.

٣- الفصول المهمة في أصول الأئمة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، ج١، ص٥١٩، باب وجوب التوقف والاحتياط في كل ما لم يعلم حكمه بنس منهم ع وترك كل ما يحتمل التحريم من المشتبهات، ح ٧٥٣.

٤- سورة الأعراف: الآية ٩٦.

٥- تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٥، ص١٢٦.

٦- سورة الأعرف، الآية ٢٠١.

٧- سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

٨- سورة الأنفال: الآية ٢٩.

٩- سورة الطلاق: الآية ٢.

تُفَنِّدُونِ﴾[10]، فبعد مضي سنين طوال على فراق يوسف ليعقوب عليه السلام وحال يعقوب من الحزن والأسى والتألم وكبر السن وما عاناه من أولاده كل تلك المحن لم تأثر على بصيرته وحواسه، وبعد بيان قوة بصيرته أرجعها النبي يعقوب إلى الله جل وعلا في الآية اللاحقة قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[11]، وما كان النبي يعقوب عليه السلام لينال هذه الكرامة من الله لولا أنه كان من المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[12].

■ التقوى مع الصبر من أسباب النصر والنجاح، قال تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[13]، الآية تتكلم عن حال المسلمين بعد معركة أُحُد فقد ورد المسلمين خبر عزم المشركين على اللحاق بهم والدخول إلى المدينة والقضاء على الدعوة الإسلامية فلمّا صدر الأمر من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالوقوف والتصدي لهم نزلت هذه الآية لتقوية معنويات المؤمنين وروحيتهم القتالية، فهبوا طاعة لأمر الرسول صلى الله عليه وآله ووقفوا على ما نالهم من جراح ومعاناة - ولا سيما أمير المؤمنين عليه السلام إذ ناله آنذاك أكثر من ستين جراحة- وما أنْ وصل خبر استعداد المسلمين للمشركين أرعبتهم هذه المعنويات العالية للمسلمين وظنوا أنَّ عناصر جديدة التحقت بالمسلمين وأنَّ هذا يمكن أنْ يغيِّر نتائج المواجهة لصالح المسلمين، فعدلوا عن قرارهم بمهاجمة المدينة حفاظاً على قواهم وقفلوا راجعين إلى مكة بسرعة[14].

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[15]، والآية هنا في مقام ذكر الحال التي صار عليها نبي الله يوسف عليه السلام بعد المحن التي لاقاها من رَمي في غيابة الجب ومن ثم البيع بثمن بخس وبعدها سجن، فبعد كل هذه الابتلاءات جازاه الله تعالى بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[16].

■ التقوى سبب في سعادة الذرية أو بؤسها، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[17]، وفي تفسير الآية نكتفي بما أورده صاحب الميزان قوله: (لم يؤمر الناس في الآية بالترحم والترؤف ونحو ذلك بل بالخشية واتقاء الله وليس إلا أنه تهديد بحلول ما أحلوا بأيتام الناس من إبطال حقوقهم وأكل مالهم ظلما بايتام أنفسهم بعدهم وارتداد المصائب التي أوردوها عليهم إلى ذريتهم بعدهم... - كلام في انعكاس العمل إلى صاحبه - من ظلم يتيما في ماله فإنَّ ظلمه سيعود إلى الأيتام من أعقابه وهذا من الحقائق العجيبة القرآنية وهو من فروع ما يظهر من كلامه تعالى أنَّ بين الأعمال الحسنة والسيئة وبين الحوادث الخارجية ...أن عمل الإنسان خيرًا أو شرًا ربما عاد إليه في ذريته وأعقابه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[18]، فظاهر الآية أنَّ لصلاح أبيهما دخلا فيما أراده الله رحمة بهما وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الآية. وعلى هذا فأمر انعكاس العمل أوسع وأعم والنعمة أو المصيبة ربما تحلان بالإنسان بما كسبت يدا شخصه أو أيدى آبائه)[19].

وللاختصار نكتفي بذكر ما تقدم من الآيات وإلا فالمقام يطول وقد لا تتسع له مجلدات ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه.

---

١٠- سورة يوسف: الآية ٩٤.
١١- سورة يوسف: الآية ٩٦.
١٢- سورة الحجرات: الآية ١٣.
١٣- سورة آل عمران: الآية ١٢٥.
١٤- ينظر: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص٦٧٧ وما بعدها.
١٥- سورة يوسف: الآية ٩٠.
١٦- سورة يوسف: الآية ٥٦.
١٧- سورة النساء: الآية ٩.
١٨- سورة الكهف:الآية٨٢
١٩- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٤، ص٢٠١ – ٢٠٢.

# تأملات قرآنية

## -١٠-

روي عن الإمام علي عليه السلام: ((اقْرَؤُوْا الْقُرْآنَ وَاسْتَظْهِرُوْهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَاءَ الْقُرْآنِ))[1].

### تأملات في الحديث

١- في الحديث دلالة واضحة على أهمية قراءة القرآن والتواصل مع كتاب الله تعالى قراءة تدبُّرٍ وتفكُّرٍ، وليس قراءة حروف وكلمات فقط، وهذا ما حثت عليه الشريعة المقدسة.

٢- يجب على الإنسان المؤمن أنْ تكون له ثقافة عامة قرآنية ونحوية وبلاغية وغيرها على قدر معرفته؛ ليفهم عظمة الإعجاز القرآني في الآيات الشريفة، وهذه المعرفة تساعده على استظهار مكنون القرآن، فيكون بذلك من العاملين بأهداف الكتاب المبين.

٣- إنَّ في الحديث انتقال من القراءة والتدبر إلى مرحلة جديدة في التعامل مع القرآن الكريم وهو معرفة غاية اللفظ وأبعاده، وهذا يعني دراسة القرآن، وقد وردت في ذلك روايات متعددة، فيجب علينا أنْ نرتقي بأنفسنا في التعامل مع القرآن من مرحلة القراءة القرآنية إلى مرحلة المعارف القرآنية، وهذا يحتاج إلى جهد ودراسة.

٤- إنَّ الإمام عليه السلام يبيِّن أنَّ من آثار المعرفة القرآنية هو أنْ يكون القلب وعاء لكتاب الله تعالى، وفيه بيان إلى أهمية القلب وعظمته في المعرفة القرآنية، والقلب إذا أصبح وعاء فالله تعالى لا يعذبه لمجرد ذلك، بل لأنَّ القلب سيغيِّر أعمال جوارحه نحو الطاعة والتقرب إلى الله تعالى فيطمئن بذلك، والقلب الذي يكون الله فيه، تكون جوارحه جنودًا لله تعالى، وكيف يعذب الله جنده وحزبه.

١- الأمالي: الشريف المرتضى، ج٢، ص٨٤.

## على هامش قصة نبي اللّه

# يوسف

## عليه السلام

اعتاد القرآن أنْ يورِد القصص القرآنية كأسلوب مؤثر يتم من خلاله تدعيم وتحقيق الهدف المنشود في العظة والعِبرة والتذكير بتجارب الآخرين وإحداث المُثُل والقِيم العُليا، فكلّ قصة قرآنية لها حَمْلها الخاص الذي من خلاله يعالج قضية ما، فالقرآن يأتي بها لمحل الحاجة منها، راعياً بذلك الميل الإنساني وتأثره بما احتوته تلك القصص من أحداث جرت في تلك الأمم.

الشيخ طه حافظ خميس

إنَّ الاخبار عن الأمم السابقة والأقوام السالفة بأنبيائها ورسلها، بهذه الدقة والتفصيل والثقة بصدق مطابقتها للواقع التاريخي، إنما يؤكد على وحدة الرسالات السماوية ووحدة هدفها وما جاء به الرسل جميعاً على مدى العصور المتوالية، وهو الدعوة إلى التوحيد ونبذ عبادة غير الله، غير أنَّ لكل نبي قصة لها واقعها الخاص الذي منحها شرف التحيز في كتاب الله وأخذ موقعها في القرآن الكريم، ومنها قصة نبي الله يوسف عليه السلام وما كان على هامشها من عظات وعِبَر.

## دعاء يوسف عليه السلام في محنته

نجى يوسف عليه السلام من محنته بعد التوسل بمحمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ومن ذلك الاتي:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ألقى إخوة يوسف يوسف في الجبّ نزل عليه جبرئيل، فقال: يا غلام، من طرحك في هذا الجب؟ فقال: إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني. قال: أتحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال: ذلك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. قال: فإن الله يقول لك: قل: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، أنْ تصلي على محمّد وآل محمّد، وأنْ تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب .
- عن هشام بن سالم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: ولما كان يوسف عليه السلام في السجن دخل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: إنَّ الله تعالى ابتلاك وابتلى أباك وأنَّ الله ينجيك من هذا السجن، فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أنْ يخلصك مما أنت فيه.

فقال يوسف: اللهم إني أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه.

قال جبرئيل عليه السلام: فأبشر أيها الصديق، فإنَّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام، ويملكك مصر وأهلها تخدمك أشرافها، ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشر أيها الصديق إنّك صفي الله وابن صفيه .

## مُلك يوسف عليه السلام

بعد أنْ خرج يوسف عليه السلام من السجن وهبه الملك خاتمه وسريره وتاجه، فأصبح عليه السلام له صلاحيات كثيرة بموجبها ملك مصر بأجمعها. فأقبل يوسف عليه السلام على جمع الطعام في السنين السبع الخصيبة يكبسه في الخزائن في سنبله.

ولـمّا أقبلت السنون الجدبة أقبل يوسف عليه السلام على بيع الطعام، فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدينار، حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر حلي ولا جواهر إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلا وصار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وصاروا عبيدا له. فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خولني ربي؟ قال: الرأي رأيك، قال: إني أشهد الله وأشهدك أيها الملك إني أعتقت أهل مصر كلهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي، ولا تحكم إلا بحكمي، فالله أنجاهم على يدي، فقال الملك: إنَّ ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول.

## عصمة النبي يوسف عليه السلام

لقد توهم الكثير أنَّ نبي الله يوسف عليه السلام ارتكب المعصية أو كان في نيته ارتكابها والوقوع في المعصية من خلال الفعل الحرام. وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[1]. ولقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام، تأويل الآية الشريفة عندما سأله أحدهم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام. فقد ورد في الأثر، عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون يا ابن رسول الله - أليس من قولك: إنَّ الأنبياء معصومون. قال: بلى وذكر الحديث إلى أنْ قال فيه: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فقال: الرضا عليه السلام لقد همت به ولولا أنْ رأى برهان ربه لهمّ بها لكنه كان معصوما والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه[2].

وفي خبر أبي الصلت الهروي أنه قال: في تأويل الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾، قال الإمام الرضا عليه السلام: إنها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها أنْ أجبرته لعظيم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ والسوء القتل والفحشاء الزنا[3].

---

١- سورة يوسف: الآية ٢٤.

٢- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١١/١٦٦.

٣- المصدر نفسه: ١١/ ١٦٧.

# مفردات قد تفهم خطأ

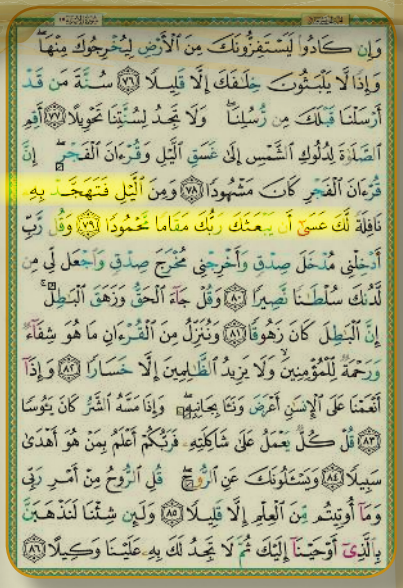
وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[1].

أي زيادة في العلو والرفعة لك (أيها النبي)، وليس المراد أنها نافلة أي مندوبة وغير واجبة عليه ﷺ، إذ إنَّ التهجد واجب على النبي ﷺ كما قال جمع من العلماء، وعلى القول بعدم وجوبه عليه ﷺ فمعنى الآية إنَّ التهجد زيادة رفعة له إذ لا سيئات عليه، بخلاف غيره فإنَّ التهجد يكفر به سيئاته.

١- سورة الإسراء: الآية ٧٩.

# تأويل آية

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال: فقال ﷺ: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون وتظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم (ألا) فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن كذبهم وظلمهم فليس مني ولا معي و أنا بريئ منه.

المصدر: أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص٢١٥.

إعداد حسن شاكر الجبوري

# عتاب إلهي بليغ !!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الحشر: الآية ١٨.

إن هذه الآيات من سورة الحشر، يُقال بأنها من أبلغ الآيات المُشيرة إلى مسألة مراقبة النفس، وينبغي أن نخرج بدرس عملي، وقرار صارم من هذه الآية، في كيفية التعامل مع النفس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، إنَّ القرآن الكريم مليء بالأمر بالتقوى، وليست التقوى إلا الكفّ عما لا يُرضي الله عز وجل: عملاً بالواجب، وانتهاء عن المحرم.

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، إنَّ الأمر بالتقوى خطاب للمسلمين وللمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولكن عندما يصل الأمر إلى المحاسبة، فإننا نلاحظ تغيير في سياق الآية: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، ففي صدر الآية هناك خطاب وهو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولكن (وَلْتَنظُرْ) فإنه كلام مع الغائب، وليس هناك مواجهة في الخطاب يقول البعض – ونعم ما يقول! – بأنَّ هذه الآية لا تخلوا من عتاب، ومن تقريع مبطن، وكأن الله عزّ وجل يُريد أن يقول: أُخاطب مَن؟! فالأمر بالتقوى يمكن أنْ أخاطب به المؤمنين، لكن مراقبة النفس أمرٌ صعب، فهو أمرٌ لا يلتفت إليه الخلق ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾ فيه تنكير، وكأن هذه النفوس التي تنظر إلى ما قدمت لغد، نفوس في غاية القلة وفي غاية الندرة وبالتالي، فكأن الله عز وجل لا يجد من يخاطبهم في الأمر بمحاسبة النفس، ويا له من تقريع، ومن تعظيم لأمر محاسبة النفس! ولهذا فإنَّ الله عز وجل، يبدو من خلال هذه الآية، أنَّه يشير إشارة خفية إلى أنَّ الممتثلين لهذا الأمر الإلهي قليلون جدا.

المصدر : شبكة السراج في الطريق إلى الله

# وقفة قرآنية

## آية .. ورواية

### ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1].

في تفسير العياشي عن خيثمة بن أبي خيثمة قال: كان الحسن بن علي عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه. فقيل له: يا ابن رسول الله لِمَ تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إنَّ الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول: (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) فأحب أنْ ألبس أجود ثيابي: أقول: والحديث مروي من طرق أهل السنة أيضًا.

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: وجهني علي بن أبي طالب إلى ابن الكواء وأصحابه وعليَّ قميص رقيق وحلة فقالوا لي: أنت ابن عباس وتلبس مثل هذه الثياب؟ فقلت: أول ما أخاصمكم به قال الله: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده وخذوا زينتكم عند كل مسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس في العيدين بردي حبرة.

سئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال من ذلك التمشط عند كل صلاة.

عن ابن القداح قال: كان أبو عبد الله عليه السلام متكئاً عليَّ فلقيه عباد بن كثير وعليه ثياب مروية[2] حسان فقال: يا أبا عبد الله إنك من أهل بيت النبوة وكان أبوك فما لهذه الثياب المروية عليك؟ فلو لبست دون هذه الثياب. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ويلك يا عباد من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ إنَّ الله عز وجل إذا أنعم على عبده نعمة أحب أنْ يراها عليه، وليس به بأس.

١- سورة الأعراف، الآيتان (٣١، ٣٢).

٢- مروية: اسم ثوب نسبة إلى مدينة مرو ببلاد فارس. (لسان العرب ١٥: ٢٧٦).

# لطائف قرآنية

## لِمن الغَلبة

قال تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

قضى الله تعالى قضاءً حتماً أنَّ الغلبة له ولرسله، وذلك بلحاظ أمور:

**الأول**: مقبولية الحق عند الفطرة إذا بيَّن بالدليل القاطع المقنع، وكذلك الخضوع له بعد إدراكه، وإنْ كان هناك تردد أو تريث على المستوى الخضوع له عملاً بسبب هوى أو أمر آخر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[2]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[3].

**الثاني**: الغلبة من حيث التأييد الغيبي والقضاء للحق على الباطل في أي موطن التقيا، فيدمغ الأول الثاني فإذا هو زاهق ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[4]، فالباطل زَبَدٌ سرعان ما يذهب جُفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

**الثالث**: من حيث طبيعة الإيمان بالله ورسوله، فالمؤمن يدافع عن الحق ويدفع الباطل، وينال إحدى الحُسنيين، فعزيمته مطلقة بخلاف مَن عزيمته مقيدة.

ثم ذيلت الآية بالاسمين (إن الله قوي عزيز) ومن هو هكذا فلا غالب له بل كل ما سواه مغلوب لضعفه وذلته والملك (لله الواحد القهار).

١- سورة المجادلة، الآية ٢١.

٢- سورة النمل، الآية ١٤.

٣- سورة النحل، الآية ٨٣.

٤- سورة الأنبياء، الآية ١٨.

مركز الجوادين للوثائق الكاظمية

# افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية

ضمن الاستعدادات لتهيئة مكتبة العتبة الكاظمية المقدسة تم افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية ضمنها، ولهذا تهيب الأمانة العامة للعتبة المقدسة بالمهتمين بالشأن الكاظمي والأسر الكاظمية الكريمة التعاون معها بتقديم ما لديهم من وثائق (أصلاً أو صورة) خاصة بالعتبة المقدسة والمدينة المقدسة وأعلامها في مختلف مجالات المعرفة، وتشمل تلك الوثائق مثلاً الكتب والمخطوطات والصور والرسائل والعقود والأختام والطوابع والخرائط والأفلام والتسجيلات الصوتية (بكرة، كاسيت، قرص مدمج) و ...الخ، مع الشكر والامتنان سلفاً.

يكون التواصل من خلال:

Info@aljawadain.org

www.facebook.com/Aljawadain.iq

أو المراسلة عبر تطبيقات (تليغرام أو واتساب أو فايبر )
على الرقم الآتي:

+٩٦٤٧٧٣٥٧٨٥٩٧٠